

نظرية الاستشارة الفلسفية عند بُوَيْثِيُوس

د. غلاب عليو حمادة عثمان^(*)

ملخص

لقد سعى "بُوَيْثِيُوس" إلى تأسيس نظرية للاستشارة الفلسفية، حاول خلالها أن تعالج آلام الإنسان وأمراضه الروحية والفكرية، التي يعاني منها، وذلك بسبب تجربة ذاتية مرَّ بها "بُوَيْثِيُوس" نفسه، وذلك عندما حُكِمَ عليه بالسجن والإعدام. إذ طرح في كتابه "عزاء الفلسفة" حواراً أدبياً "بينه" وبين "الفلسفة"، مستخدماً أياها لتصحيح أفكاره، وذلك عن طريق كشف النقاب عن عوارض الأشياء؛ للوصول إلى جوهرها وماهيتها الحقيقية، للوصول إلى المعنى الحقيقي للحياة، وبذلك استطاع "بُوَيْثِيُوس" الخروج من حالة اليأس، ليشعر بمعنى الحياة وقيمتها.

والاستشارة الفلسفية عند "بُوَيْثِيُوس" هي عملية جمع المعارف وتحليلها وإعادة ترتيبها، تلك التي تكمن داخل المريض في ضوء السياق (الزماني والمكاني)، الذي يحيط به، وما يدور داخله من مشكلات وقضايا وأفكار، وما يعاني منه من آلام نفسية وفكرية على حد سواء، ثم العمل على استحضار نماذج مختارة من الأفكار والرؤى والمناهج الفلسفية واستدعائها لمختلف الفلاسفة؛ وفقاً لطبيعة المشكلة، التي يعاني منها المريض، وذلك عن طريق مجموعة من المستويات والإستراتيجيات، التي تتحدد وفقاً لحالة المريض، بهدف العلاج من مختلف الآلام الفكرية، والعقلية، والنفسية، والوجودية التي يعاني منها.

الكلمات المفتاحية:

الاستشارة الفلسفية؛ بُوَيْثِيُوس؛ العلاج الذاتي؛ نظرية.

"Boethius's Theory of philosophical counseling"

By: Dr. Ghallab Eleaw Hamada Osman.

Abstract

Boethius sought to establish a theory of philosophical counseling that could help people to overcome their spiritual and intellectual suffering. He

^(*) مدرس فلسفة العصور الوسطى الأوربية بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

drew on his own experience of imprisonment and execution to develop this theory, which he described in his book *The Consolation of Philosophy*.

The *Consolation of Philosophy*, Boethius engages in a dialogue with Philosophy, who helps him to understand the true nature of reality and to find meaning in his suffering. Philosophy teaches Boethius that the world is governed by a rational order, and that even the most difficult events have a purpose. She also teaches him that the goal of human life is to achieve wisdom and virtue.

Boethius's theory of philosophical counseling is based on the belief that the root of all suffering is ignorance. When we do not understand the true nature of reality, we are led to make mistakes and to suffer unnecessary pain. Philosophical counseling can help people to overcome their ignorance by providing them with a framework for understanding the world and their place in it.

Boethius's theory of philosophical counseling is still relevant today. It can be used to help people to cope with a wide range of problems, including anxiety, depression, and existential despair. By providing people with a deeper understanding of themselves and the world around them, philosophical counseling can help them to find meaning and purpose in their lives.

Keywords: Philosophical Counseling, Boethius, Self-treatment, Theory.

المقدمة

يعد "بُوَيْثْيُوس" Boethius (٤٨٠ - ٥٢٤م) واحدًا من أوائل فلاسفة العصور الوسطى الأوروبية، الذين حاولوا تأسيس نظرية للاستشارة الفلسفية، فلم تعد الفلسفة - وفقًا للتحديات المعاصرة - تقف عند حدِّ معالجة المشكلات الفلسفية معالجة نظرية بحتة، بل أصبح وجودها مرتبطًا بما تقدمه للإنسان من منافع عملية، وهنا ظهرت الفلسفة التطبيقية. وتعد الاستشارة الفلسفية - في حقيقة الأمر - واحدة من أهم فروعها. وقد سعى "بُوَيْثْيُوس" إلى تأسيس نظرية للاستشارة الفلسفية يمكن عن طريقها أن تعالج آلام الإنسان وأمراضه الروحية والفكرية، التي يعاني منها، وذلك عن طريق تجربة ذاتية مر بها "بُوَيْثْيُوس" نفسه، وذلك عندما حُكِمَ عليه بالسجن والإعدام. إذ يطرح في كتابه "عزاء الفلسفة" حوارًا أدبيًا "بينه" وبين "الفلسفة"، مستخدمًا إياها لتصحيح أفكاره، وذلك بكشف النقاب عن عوارض الأشياء للوصول إلى جوهرها

وماهيتها الحقيقية، للوقوف على المعنى الحقيقي للحياة، ويدور الحوار بينهما حول عديد من القضايا الفلسفية مثل: ماهية الحقيقة، والفضيلة، والخير، والشر، وحرية الإرادة، والعناية الإلهية، وذلك بهدف إخراج "بوثيوس" من حالة اليأس ليشعر بمعنى الحياة وقيمتها.

وقد راجت فكرة العلاج بالفلسفة عند "بوثيوس" رواجاً كبيراً في فلسفات العصور الوسطى من ناحية عقلانية المفاهيم والقضايا التي عالجتها، ثم بعد ذلك في العصور الحديثة والمعاصرة من خلال تأثيرها في مدارس العلاج الفلسفي والنفسي. وستعول هذه الدراسة - على وجه خاص - على معالجة نظرية الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس من ناحية، وآليات تطبيقها من ناحية أخرى، وستعالج الدراسة إشكاليات عديدة من أهمها:

- ما مفهوم نظرية الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس؟
 - ما المناهج الفلسفية التي تقوم عليها الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس؟
 - ما إستراتيجيات تطبيق الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس؟
 - هل توجد مستويات لممارسة الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس؟
 - ما الرؤى الإبداعية التي يمكن أن تقدمها الاستشارة الفلسفية لبوثيوس؟
- وسوف تعتمد الدراسة على أربعة مناهج، وهي: "المنهج التحليلي"، وسيستخدم في تحليل نصوص "بوثيوس" لاستنباط مفهوم نظرية الاستشارة الفلسفية ومحاورها الأساسية، وكذلك "المنهج المقارن" وسيستخدم في مقارنة أفكاره مع أفكار السابقين له الذي تأثر بهم، وكذلك أفكار اللاحقين عليه الذي أثر فيهم، أما "المنهج النقدي" فسيستخدم في تقييم أفكاره. وستأتي الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وخمسة محاور، وخاتمة، وجاءت المحاور على النحو الآتي:

- المحور الأول: مفهوم الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس.
- المحور الثاني: مناهج الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس.
- المحور الثالث: إستراتيجيات تطبيق الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس.
- المحور الرابع: مستويات ممارسة الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس.
- المحور الخامس: الرؤى الإبداعية لنظرية الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس.

التمهيد:

إن "الاستشارة الفلسفية" Philosophical Counseling هي أداة مهمة لتطبيق الفلسفة بوصفها فن العيش في الحياة بحكمة وخير، ويعد "جيرد أشينباخ" (*) Gerd Achenbach (١٩٤٧-...) هو أول من صك هذا المصطلح، ويفضله أنشأت "جمعية الاستشارة الفلسفية" بألمانيا عام (١٩٨٢)، التي تطورت إلى اتحاد يشمل عديد من الجمعيات الدولية.^(١) كما أسست "جمعية التحليل الوجودي" في لندن عام (١٩٨٨)، وأيضاً "جمعية الاستشارة الفلسفية الوطنية" في أميركا عام (١٩٩٢). وقدمت "جمعية الممارسين الفلسفيين الأميركية" عام (١٩٩٨) الاستشارات ممن لديهم درجة علمية في الفلسفة، كما نشرت قائمة بالمستشارين الفلسفيين المعتمدين على موقعها الإلكتروني، وقدّم قسما الفلسفة بجامعة "بنجابو شانديجار" Chandigarh Panjab University جامعة "كيرالا" Kerala University في الهند مشروعاً في الإرشاد الفلسفي عام (٢٠٢٠).^(٢)

وقد جعل "أشينباخ" الاستشارة الفلسفية نموذجاً مهماً لممارسة الفلسفة في الحياة، وذلك عن طريق علاقتها بمشكلات الحياة اليومية، وبوصفها أداة مهمة لمساعدة الإنسان على إضفاء معنى على وجوده في الحياة. فهي لا تأتي بحلول جاهزة، بل تسعى لإيجاد حلول مرنة وبسيطة عن طريق حوار مفتوح بين المستشار الفلسفي

(*) ولد "جيرد أشينباخ" بألمانيا، وبعد انتهائه من الدكتوراه في الفلسفة عام (١٩٨١) بدأ نشاطه في ممارسة الفلسفة بعد تأسيسه لمصطلح "الاستشارة الفلسفية"، ومن أهم مؤلفاته: كتاب "السلام الداخلي: العثور على توازن في عالم مضطرب"، ونشر عام (٢٠٠١)، وكتاب "أن تعرف كيف تعيش: حياة مليئة بالدلالات والقيم"، ونشر عام (٢٠٠١)، وكتاب "الحق في الخطأ: خطابات عن القدرة الفلسفية لتتعلم كيف تعيش"، ونشر عام (٢٠٠٣)، "الاستشارة الفلسفية: الفلسفة كفرصة للحياة"، ونشر عام (٢٠٠٤)، وكتاب "الحب هو الإجابة فما هو السؤال؟"، ونشر عام (٢٠٠٦). أنظر: سامح الطنطاوي: *الإستشارة الفلسفية عند جيرد أشينباخ*، مجلة أوراق فلسفية، كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، المجلد (٦١)، ٢٠١٨م، ص ٢١٩.

(١) المرجع نفسه، ص ص ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٩.

(٢) نور عبيد: *الإرشاد الفلسفي والنظمي*، دراسات جامعية في الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٩)،

الجامعة اللبنانية، لبنان، (د.ت)، ص ٤١.

وضيوفه؛ لأن كل حوار له شكله الفردي وخصائصه المختلفة، التي لا تنطبق على الحالات الأخرى، وذلك عكس العلوم التجريبية، التي من الممكن أن تتوصل إلى حلول وتفسيرات يمكن تطبيقها على حالات مشابهة. فلا تعمل الاستشارة وفق نماذج سبق العمل عليها، بل تبحث عن الطرق المناسبة عن طريق حوار مفتوح مع المستشار، يمكن عن طريقه الوصول إلى إيجاد حلول للمشكلات التي يواجهها الأشخاص في حياتهم. وبهذا تركز الاستشارة الفلسفية على أحداث حياتنا اليومية مثل أمراضنا، وأحزاننا، ومشاعرنا، وفشلنا في بعض المواقف، والصعوبات التي تقابلنا، وتأتي وظيفة المستشار الفلسفي في مساعدة الناس على تنظيم تفكيرهم عن طريق الحوار والمناقشة ومن ثم المواجهة^(١).

وأكدت "الجمعية الفلسفية الأمريكية" أن مصطلح "الاستشارة الفلسفية" ليس مصطلحاً جديداً، بل له جذوره الفلسفية القديمة، فيمكن الرجوع بالممارسة الفلسفية تاريخياً إلى "سقراط" Socrates (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م) لأنه من أوائل الفلاسفة الذين إهتموا بالممارسة العملية للفلسفة، كما اهتمت المدارس الهيلنستية مثل "الأبيقورية" Epicureanism و"الرواقية" Stoicism بفكرة أن الفلسفة هي منهج لمواجهة المشكلات المؤلمة في الحياة، إذ تكمن قيمة فكرهم في جعل الإنسان يتحرر من قلق الموت والتشاؤم بالتفكير في الوسائل والغايات التي توصلنا للسعادة والفضيلة في الحياة.^(٢) كما أسهم "بوثيوس" - الذي يعد واحداً من أهم فلاسفة العصور الوسطى الأوربية في مرحلتها المبكرة - في تأسيس نظرية الاستشارة الفلسفية.

وينتمي "بوثيوس" - واسمه "أنيسيوس مانليوس سيفيرنيوس بوثيوس" Anicius Manlius Severinus Boethius - إلى طبقة أرستقراطية، تعود لأعظم العائلات الرومانية، كما يعد أحد أهم الشخصيات المُشكِّلة للثقافة اللاتينية في العصور الوسطى، حيث أتقن اللغة اليونانية واللاتينية؛ ومن ثمَّ كان لديه القدرة على القراءة المباشرة لنصوص فلاسفة اليونان، وخاصَّةً "أفلاطون" Plato (427 - ٣٤٧ ق.م) و"أرسطو"

(١) سامح الطنطاوي: مرجع سابق، ص ص ١٩٩، ٢٠٨، ٢١١.

(٢) سامح الطنطاوي: مرجع سابق، ص ص ١٩٩، ٢٠٠.

Aristotle (322-384 ق.م). وقد أعلن عن مشروعه، الذي يتمثل في ترجمة أعمال أفلاطون وأرسطو، وتفسيرها؛ وذلك تمهيداً لمحاولة التوافق بينهما، إلا أن محنته وسجنه منعه من إتمام مشروعه الفكري. أما بالنسبة لمؤلفاته؛ فتنقسم إلى أربعة مجموعات: الأولى، وتحتوي على الكتب المدرسية، وتهتم بالموضوعات الرياضية، والثانية، عبارة عن تراجم وتعليقات لكتب المنطق والخطابة، والثالثة، تضم الكتب اللاهوتية، والرابعة، تتمثل في كتابه "عزاء الفلسفة" *The Consolation of Philosophy*.⁽¹⁾

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح الاستشارة الفلسفية لم يكن موجوداً كمصطلح متعارف عليه في عصر "بُونِثْيُوس" أو حتى في العصور السابقة عليه، ولم يتم تداوله إلا في القرن العشرين، إلا أن تلك النظرية كانت موجودة بالفعل، كما سبق وأشرنا إلى ذلك. الأمر الذي يجعلنا نسأل: ما مفهوم نظرية الاستشارة الفلسفية عند "بُونِثْيُوس"؟

المحور الأول: مفهوم الاستشارة الفلسفية عند بُونِثْيُوس.

لقد عالج "بُونِثْيُوس" نظرية الاستشارة الفلسفية في كتابه "عزاء الفلسفة"، ورغم أن هذا المصطلح لم يكن موجوداً في عصره، فإنه أسس لتلك النظرية، ورغم ذلك فإن مؤلفه "عزاء الفلسفة" يخلو من مصطلح "الاستشارة الفلسفية" إلا أن النظرية متضمنة في بنية كتابه، كما أن "بُونِثْيُوس" لم يطرح فكرة الاستشارة فحسب، بل طبقها -أيضاً- على نفسه، وذلك عن طريق الحوار الذي دار في "العزاء" بين شخصيتين: الأولى، وهي شخصية "بُونِثْيُوس السجين" - وهو يجسد شخصية (المستشير)، أما الثانية، وهي شخصية "سيدة الفلسفة" - وهي تجسد شخصية (المستشار الفلسفي)-، وتجدر الإشارة هنا إلى أن "بُونِثْيُوس" يتقصد كلا الشخصيتين، تارة في شخصية (المستشير) أو المريض، وتارة أخرى في شخصية (المستشار)، وهي شخصية سيدة الفلسفة.

كما ينقل هذا الحوار الفلسفي إحدى الصور الواقعية للعصور الوسطى، فعدد من مخاوفنا ومشاكلنا الحالية ما تزال هي نفسها تلك التي كانت موجودة في زمن "بُونِثْيُوس"، وبهذا المعنى نحن نضع مبرراً للقول بأننا بحاجة إلى الاستماع إلى أصوات

(1) John Marenbon: *Boethius, Great Medieval Thinkers*, Series Editor Brian Davies, Oxford University Press, Oxford, 2003, pp. 14, 15.

من العصور الوسطى إذا أردنا أن نبحث عن حلول اليوم، فهي رسالة من الماضي للحاضر، وحجة نسوقها لتأكيد أهمية دراسة العصور الوسطى بالنسبة لنا اليوم،^(١) وهو ما يمثل الجدارة الحقيقية لهذه الدراسة عامة، ولنظرية الاستشارة الفلسفية خاصة.

كتب "بونثيوس" كتابه "عزاء الفلسفة"، وهو في السجن خلال الشهور التي سبقت إعدامه عام (٥٢٤م)، وكان من أكثر النصوص رواجاً في أوروبا طوال العصور الوسطى وعصر النهضة، وقد حوى كثيراً من أساليب علاج النفس المقلقة، فقدّم (روشته) علاجية لكل نفس بشرية تواجه ظروفًا استثنائية مثل ظروف مؤلفه الذي كان يواجه الموت، فنجح عن طريق تأملاته الفلسفية في أن يرى الأشياء بحجمها الحقيقي، إذ اختقت أمامه الصغائر، ولم يعد يرى إلا المعاني بذات الحجم والشكل والمقدار الحقيقية، ومن ثم فقد حوّل الفلسفة في العصر الروماني من الصياغة الفلسفية النظرية المجردة إلى شكل جديد يُمكنه أن يتعامل مع مشكلات الإنسان اليومية.^(٢)

كما حاول "بونثيوس" القيام بعملية استشارة ذاتية للنفس وللغفكر عن طريق الفلسفة، حيث ربط بين تجارب الفيلسوف ومعاناته وبين قدرته على الإرشاد الذاتي، وقام بتجسيد الفلسفة في هيئة سيدة تناقشه، وتصح له أفكاره، وتساعد على قبول الواقع، والتصالح معه، وتذكّره بالمعنى الحقيقي لكل ما يواجهه، حيث يرفع عن الأشياء عوارضها وصولاً إلى جوهرها الحقيقي ليتمثل الفيلسوف الحياة بطريقة جديدة، حيث تُعزّيه وتشد من أزره.^(٣) وقد عالج الكتاب موضوعات هامة للغاية مثل: السعادة الحقيقية، وكيف يتوافق الترتيب الإلهي مع ازدهار الأشرار واضطهاد الأخيار، وذلك في حوار يجمع بين الشعر والنثر في ضوء حياته الدرامية، الذي تم فيه إدانته بعد أن كان ثرياً، وقويّاً،

(١) Albrecht Classen: **What do they mean for us today? Medieval Literature and Philosophy at the Ende of the Twentieth Century. Boethius, Abelard, John of Salisbury, and Christine de Pizan**, Mediaevistik, Vol. 12, 1999, p.208.

(٢) مصطفى النشار: **العلاج بالفلسفة**، بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيقية وفلسفة الفعل، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٣٨.

(٣) فاطمة مصطفى أبو عالية: **الاستشارة الفلسفية بين النظرية والتطبيق**، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، (الإنسانيات والعلوم الإجتماعية)، مجلد (١٤)، العدد (٢)، يوليو ٢٠٢٢م، ص ٣٧٤.

ومؤثراً، وتجريده من أمواله، ثم إدانته فجأة كخائن، وسجنه، والحكم عليه بالإعدام.^(١) فقدم "بُوَيْثْيُوس" العلاج عن طريق الحوار بين "سيدة الفلسفة" وبين "بُوَيْثْيُوس" السجين، وفي البداية يغرق "بُوَيْثْيُوس" في فيضانات من الدموع؛ لأنه فقد كل شيء، فتساعده "سيدة الفلسفة" على التعافي من أحزانه.^(٢)

فإحدى مهام الفلسفة عند "بُوَيْثْيُوس" هي المواساة الشخصية، التي يعدها علاجاً عن طريق إدارة تقديم العلاجات بشكل تدريجيٍّ من الأقل قوة إلى الأكثر قوة، فيحتاج المريض في حقيقة الأمر إلى علاجات مختلفة، أي علاج تدريجي لطيف في البداية؛ والمتمثل في مناقشة الثروات الزائلة بمختلف أشكالها، لتتطور إلى مستوى معقد، ويتجلى ذلك عند معالجة قضية السعادة.^(٣)

فليست المهمة الأولى للفيلسوف إيصال معرفة موسوعية في شكل نسق من القضايا والمفاهيم تعكس - على جهة التقريب - نسق العالم، إنما يرمي إلى تغيير شخصية المرء وتعليمه فن العيش. والعنصر الجوهرى في الحياة الفلسفية ليس عنصراً قولياً، بل هو عنصر عمليٍّ تطبيقيٍّ، فالغاية من المباديء الفلسفية هي تطبيق المباديء؛ لأن الفلسفة هي فن العيش، حيث يمكن لها أن تعلمنا طريقة جديدة في الحياة.^(٤)

١- ماهية الاستشارة عند بُوَيْثْيُوس.

لقد كان "بُوَيْثْيُوس" لاهوتياً، وكان من أشهر رجال اللاهوت المسيحي في عصره، لكنه حين ضاقت به الدنيا في زنارته واقترب موعد إعدامه، لم يلتمس القوة الروحية من اعتقاداته وإيمانه المسيحي، بل أخذ يستمدّها من الفلسفة^(٥). فالإشكالية في تعزيز

(١) John Marenbon, Op. Cit., p. 96.

(٢) Thérèse-Anne Druart: *Philosophical Consolation in Christianity and Islam: Boethius and al-Kindi*, Topoi 19, Kluwer Academic Publishers, Netherlands, 2000, p. 26.

(٣) John Marenbon, Op. Cit., pp. 102, 103.

(٤) بيير هادو: *الفلسفة طريقة حياة، التدريبات الروحية من سقراط إلى فوكو*، ترجمة عادل مصطفى، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م، ص ص ١٦، ١٧.

(٥) سعيد ناشيد: *التداوي بالفلسفة*، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ٢٠١٨م، ص ص ٣٣، ٣٤.

الفلسفة عند "بوثيوس" تتمثل في أنه يسعى للإجابة على أسئلته الدينية عن طريق الفلسفة - وحدها- دون اللجوء إلى قناعات لاهوتية صريحة^(١).

لقد لاحظ كثير من الباحثين غياب المسيحية بشكل صريح في نصوص "عزاء الفلسفة"، على الرغم من أن "بوثيوس" له مؤلفات لاهوتية مهمة، الأمر الذي يطرح سؤالاً هاماً، ألا وهو: لماذا اختار "بوثيوس" المواساة والعزاء كعلاج بالعقل وليس بالإيمان؟

يرى بعض الباحثين أنه لا يوجد في نصوص "العزاء" ما لا يتفق مع المسيحية، وعلى الرغم من عدم وجود اقتباسات من الكتاب المقدس أو إشارات إلى السيد المسيح أو الدين المسيحي؛ فإن القراءة الإبداعية كانت نقطة قوة علماء العصور الوسطى.^(٢) وتجدر الإشارة إلى إنه كان من الصعب على القارئ المسيحي المثقف تجاهل أن الحوار الوارد في الكتاب، يتلقى فيه شخص مسيحي (بوثيوس) التعاليم من شخص يمثل الفلسفة الوثنية، ويقترح بعض المواقف التي قد ينظر إليها معظم المسيحيين بعين الريبة كما هو الحال في الإشارة إلى (الروح العالمية)، و(أزلية العالم)، ولا يتقوه "بوثيوس" بأي عبارة مسيحية صريحة.^(٣)

لقد أراد "بوثيوس" التفكير خارج الإطار المسيحي، فمن المرجح أن يشعر المرء بعدم وجود عزاء مسيحي صريح. وبالنظر للديانة المعروفة للسجين "بوثيوس"، وإذا تخيل المرء أن جمهوراً خارجياً منفصلاً تماماً عن السجين، فإن منظور المرء سيتغير،

(1) Wendy Raudenbush :**Philosophical Inquiry and Religious Transformation in Boethius's "The Consolation of Philosophy" and Augustine's "Confessions"**, The Journal of Religion, Vol. 69, No. 1, The University of Chicago Press, Chicago, Jan., 1989, p. 14.

(2) Lodi Nauta: **The Consolation: the Latin commentary tradition**, in, "The Cambridge Companion to Boethius", Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009, p. 256.

(3) جون مارينوب: **بوثيوس**، ترجمة علي الحارس، موسوعة إستانفورد للفلسفة، موقع حكمة،

فمن السهل رؤية العمل بوصفه عملاً فلسفياً موجهاً لأي إنسان^(١) دون أن يقتصر على "بوثيوس" فحسب أو على الذين ينتمون لنفس الديانة التي ينتمي لها، وهي المسيحية. ويمكن القول إن "بوثيوس" أراد أن تكون الاستشارة فلسفية بالدرجة الأولى دون أن تكون مسيحية أو دينية، وذلك حتى تكون الاستشارة لجميع البشر دون أن تقتصر على من يؤمن بالمسيحية فحسب، وهي دعوة غير مباشرة منه للتعددية الدينية والثقافية، فعلى الرغم من اختلاف الأديان والثقافات؛ فإن الفلسفة هي ما يمكن أن يقف عندها جميع البشر، يتحاورون ويتناقشون في قضاياهم بشكل عقلي دون التعصب لعقيدة أو لدين أو لثقافة معينة، وهي - وحدها فحسب - يمكن أن تقدم الاستشارة لجميع البشر دون إستثناء.

٢- الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس بين التأثر والتأثير.

تكمن أهمية كتاب "عزاء الفلسفة" ليس في المحتوى الفلسفي والعلمي الذي تضمنه فحسب؛ بل كذلك في الطريقة المنهجية التي استخدمها في عرض أفكاره^(٢). فقد تأثر "بوثيوس" بميتافيزيقا "أرسطو"، وبما جاء في محاوره "تيماسوس" لـ"أفلاطون"، وكذلك بأفكار "شيشرون" Cicero (١٠٦ ق.م - ٤٣ ق.م)^(٣).

كما تأثر بممثلي الاتجاه الاستشاري السابقين عليه، فأخذ عن "إبكتيتوس" Epictetus (٥٥ - ١٣٠م) تأكيداً على سلطة الكلمة وقوتها، ومدى تأثيرها يكمن في التصور وتشكيل الوعي، ومن ثم توجيه السلوك، وكذلك تأكيد رفض التعلق بالتوقع والتعويل على الحظ، حيث عدّه سبباً محورياً لشقاء الإنسان، لأن العالم الخارجي منفصل عن البشر وعن إرادتهم الخاصة، ويظهر هذا في أحكام الطبيعة والقدر وتصرفات الآخرين

(1) John Moorhead: **Boethius' life and the world of late antique philosophy**, in, "The Cambridge Companion to Boethius, Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009, pp. 240, 244.

(2) John Moorhead: Op. Cit., pp. 25, 26.

(3) Howard Rollin Patch: **The Tradition of Boethius**, A Study of his Importance in Medieval Culture, Oxford University Press, New York, 1935, p.33.

وتأثيرها فينا، لذا يجب أن نكون واقعيين، وأن نفهم طبيعة عالمنا الواقعية، لا ما يجب أن يكون، أو ما نريده أن يكون^(١).

كما يتفق "عزاء الفلسفة" مع "اعترافات" Augustine أوغسطين (354-430م)؛ لأنها كانت قصة لاهتدائه والبحث عن السعادة عن طريق الحوار، وهو لقاء مع الذات ومع الله، وفي "العزاء" تدحض "سيده الفلسفة" الأسئلة، وتُخرج "بونثيوس" من حالة الاكتئاب - وهو في السجن - إلى رؤى ومكانة أكثر شمولية وعقلانية، والواقع أنه في كلا العملين نجد تنمية للبصيرة الفكرية، والتغير النفسي، والنمو الديني^(٢). كما يتفق أسلوب "الرسائل الفلسفية" للكندي (٨٠٥ - ٨٧٣م) مع أسلوب كتابة "عزاء الفلسفة"، حيث جعل هذا الأخير الفلسفة أكثر قبولاً، مستخدماً طريقة كتابة يمكن الوصول بها للمبتدئين بسهولة، حيث استخدم الأسلوب الأدبي لرسائله.

كما يتفق "الكندي" فيما كتبه في كتاب "الأحزان" مع ما كتبه بونثيوس في "عزاء الفلسفة"، حيث إنهما ينتقلان من الآراء المشتركة الكاذبة عن طريق العلاجات السهلة والحجج الخطابية للوصول في النهاية إلى الرأي الصحيح، وكذلك تحرير العقل. إلا إنهما يختلفان في آلية اختيار الحجج. ف"بونثيوس" ينتقل من الحجج الرواقية سهلة العلاج إلى الحجج والمواقف الأفلاطونية المحدثة، أما "الكندي"؛ فتتشابك الحجج الرواقية مع الأفلاطونية المحدثة. فكيف يمكن للفلسفة أن تقدم عزاء؟ يحدث ذلك عن طريق محورين، هما: أن الحزن والعاطفة ناتجان عن عيب وقصور معرفي أو خطأ في الرأي والاعتقاد، ولتقنيد هذا يجب تقنيد الرأي الباطل، واستبداله بالرأي الصحيح. أما الثاني، فهو أن البشر أحرار، وهذا يعني أن لديهم بعض من السيطرة على العواطف بفعل العقل، وذلك عن طريق إحلال الآراء الصحيحة محل الآراء الخاطئة أو الفاسدة.^(٣)

(١) فاطمة مصطفى أبو عالية: مرجع سابق، ص ٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) Wendy Raudenbush: Op. Cit., p. 15.

(٣) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 26.

وكان من أهم آثار "عزاء الفلسفة" أنه قَدَّمَ لُكْتُاب الأعمال الأدبية الإلهام، بوصفه عملاً فنياً عن طريق قصتها الرمزية وواصلها الغنائية وأسئلتها الفلسفية^(١). فقد أثر في "بيير أبيلار"^(*) Pierre Abélard (١٠٧٩ - ١١٤٢)، خاصة في كتابه "حوار بين فيلسوف ومسيحي ويهودي، وكذلك في "ريموند لول"^(*) Raymond Lulle (١٢٣٢ - ١٣١٥م)، وخاصة في روايته "الكافر والحكماء الثلاثة".

كما كان "عزاء الفلسفة" مصدرًا مهمًا لشعراء العصور الوسطى، مثل "جيفري تشوسر" Chaucer Geoffrey (١٣٤٣ - ١٤٠٠م)، و"دانتي إليجيري" Dante Alighieri (١٢٦٥ - ١٣٢١م). فقد أعلن هذا الأخير أنه استلهم منه كثيرًا من الأفكار الفلسفية والأدبية، كما اقتبس منه نصوص عديدة، التي ظهرت في مؤلفاته: "المأدبة"، و"الحياة الجديدة"، و"الكوميديا الإلهية"^(٢).

٣- العلاقة بين الاستشارة الفلسفية وبين العلاج النفسي.

تختلف الاستشارة الفلسفية في عملها عن العلاج النفسي، فالمعالج النفسي ينظر بوصفه مريضًا، ويحتاج إلى علاج، ويجب عليه أن يقوم بتطبيقات معينة وفقًا لنماذج

(1) Howard Rollin Patch: Op. Cit., p. 5.

(*) ولد بيير أبيلار فيلسوف ولاهوتي فرنسي، ويعد واحدًا من أهم الفلاسفة واللاهوتيين في القرن الثاني عشر، إهتم بالجدل والمنطق، ودخل في كثير من المناقشات اللاهوتية والمنطقية مع معاصريه، وعمل على تطبيق الديالكتيك على اللاهوت المسيحي، مما جعل مجمع سواسون يدينه عام (١١٢١م) بالهرطقة، وأقر المجلس بحرق كتابه "في الوحدة والثالوث الإلهي"، وله الكثير من المؤلفات الأخرى مثل "الجدل"، و"نعم ولا"، و"اللاهوت المسيحي"، و"الأخلاق أو اعرف نفسك"، و"تاريخ مصائبي"، ... إلخ.

(*) هو فيلسوف ولاهوتي إسباني، يعد "لول" أب للتبشير المسيحي، حيث سافر لكثير من البلدان الإسلامية بهدف تبشير المسلمين للدخول في المسيحية، كما سافر لكثير من البلدان الأوربية بهدف دعم الحملات الصليبية، وذلك لتحقيق الإمبراطورية المسيحية التي سخر مؤلفاته بأكملها من أجل تحقيقها، وله عديد من المؤلفات مثل: "الكافر والحكماء الثلاثة"، و"بلانكيرنيا"، و"فيليكس"، الفن الأكبر"، ... إلخ.

(2) Winthrop wetherbee: *The Consolation and Medieval literature*, in, The Cambridge Companion to Boethius, Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009, p. 298.

تملى عليه، أما في الاستشارة الفلسفية، فلا يوجد أي إجبار أو التزام بتطبيق فروض وطرق معينة أو إجراءات محددة سلفاً، ولكنها تبحث عن حوار فلسفي حي، دون فرض لأية قواعد محددة.^(١) فالحوار بين المستشار والمستشير في الاستشارة الفلسفية هو حوار حر دياكتيكي يتسم بالمرونة، ويسير في طريق يرسمه الحوار بين الاثنين دون أن يكون حواراً مُعدَّاً مسبقاً.

وقد استخدم "بوثيوس" عديد من الوسائل الفكرية التي سوف تستخدمها مدارس العلاج النفسي الحديثة، حيث اهتم بفحص الأفكار وتصحيحها، والبحث عن معنى الحياة، وتقبل الواقع، والتوجه إلى اللغة لتحديد الألفاظ والمفاهيم كالحقيقة والفضيلة وغيرها، كما أكد وظيفة اللغة في حدوث أزمات فكرية وحلها أيضاً، أي أنها علة وعلاج في نظره. كما استخدم في تمثله الفلسفة بوصفه شخصاً تحاوره تقنية العلاج الجشطالتي، وهي "الكرسي الفارغ".^(٢)

فلم يتقدم علماء النفس إلى مراحل تحديد المشكلة، وقراءة ردود الفعل، والتعبير المفيد عنها، وكيفية التصدي لها، واستكشاف الإطار الفلسفي المؤدي إلى حالة من التوازن والتوافق "النفس-معرفي"^(٣) وهو ما اهتمت به الاستشارة الفلسفية لدى "بوثيوس"، وسوف يتجلى ذلك في مراحل الاستشارة الفلسفية ومستوياتها التي سوف نعالجها في الصفحات القادمة؛ ومن ثمَّ يمكن استنباط مفهوم الاستشارة الفلسفية عند "بوثيوس" بأنها عملية جمع المعارف وتحليلها وإعادة ترتيبها، تلك التي تكمن داخل المريض في ضوء السياق "الزماني والمكاني" الذي يحيط به، وما يدور داخله من مشكلات وقضايا وأفكار، وما يعاني منه من آلام نفسية وفكرية على حد سواء، ثم العمل على استحضار واستدعاء نماذج مختارة من الأفكار والرؤى والمناهج الفلسفية لمختلف الفلاسفة، وفقاً لطبيعة المشكلة التي يعاني منها المريض، وذلك عن طريق مجموعة من المستويات والإستراتيجيات، التي تتحدد وفقاً لحالة المريض، وذلك بهدف العلاج من مختلف الآلام الفكرية، والعقلية، والنفسية، والوجودية التي يعاني منها.

(١) سامح الطنطاوي: مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٢) فاطمة مصطفى أبو عالية: مرجع سابق، ص ٣٧٤.

(٣) نور عبيد: مرجع سابق، ص ٤٣.

المحور الثالث: مناهج الاستشارة الفلسفية عند بُوْثِيُوس.

كما يمكن استنباط عديد من المناهج الفلسفية، التي عوّل عليها "بُوْثِيُوس" في تأسيس نظريته للاستشارة الفلسفية، التي من أهمها: منهج الحوار السقراطي، والمنهج الديالكتيكي، والمنهج التحليلي التركيبي، والمنهج الهيرمنيوطيقي.

١- منهج الحوار السقراطي.

يعد منهج الحوار السقراطي (التهكم والتوليد) من المناهج الرئيسية التي تأثر وإهتم بها "بُوْثِيُوس"، وطبقها بل ومارسها بالفعل في كتابه "عزاء الفلسفة"، ذلك المنهج الذي يقوم على توليد الأفكار من العقول عن طريق "السؤال والجواب"، فقد كان "سقراط" *Socrates* (٤٧٠ ق.م - ٣٩٩ ق.م) في المجتمع الأثيني يطرح أسئلة على حكماء عصره، ويقوم بتنفيذ كل الإجابات التي تقدم ردًا على هذه الأسئلة، للوصول في النهاية إلى الإجابة المثلى للسؤال موضوع النقاش، وتجلّى ذلك المنهج بشكل تام في الحوار الذي دار بين (سيدة الفلسفة) وبين (السجين)، ذلك الحوار الذي يجمع بين التهكمية والتوليدية في الوقت ذاته، فهو تهكمي عن طريق تنفيذ اعتقادات "بُوْثِيُوس" الوهمية، وتوليدي باستخراج الإجابة الحقيقية الصحيحة منه.

كما تأثر "أسينباخ" - فيما يرى سامح طنطاوي- بالمنهج السقراطي مثله مثل "بُوْثِيُوس"، فكان يقوم سقراط بطرح السؤال، وعادة ما يكون سؤالاً عاماً مثل: ما الشجاعة؟ ما العدالة؟ ما الحب؟ أين الحقيقة؟ ... إلخ. فإذا نظرنا لكل هذه التساؤلات الفلسفية سوف ندرك إنها أسئلة تسعى لإثارة العقل. وبعد ذلك يقوم سقراط بتنفيذ كل تعريف عن طريق تقديم مثال مضاد يثبت عن طريقه: أن التعريف الذي قُدِّم ضيق ومحدود للغاية، أو به تحيز، أو أنه بغير علم وإطلاع. كما أنّ هناك أسباباً، تلك التي من أجلها يَجِدُ ضيف الاستشارة الفلسفية نفسه مدفوعاً للبحث عن حوار مع المستشار الفلسفي، منها -على سبيل المثال-: الإحباطات، والأحداث غير المتوقعة وغير المنتظرة التي يمر بها الإنسان في حياته، والتصادم مع الآخرين، والمصير، والخبرات الفاشلة، كل هذا يمثل حياة سلبية وغير مريحة، أو بالأحرى حياة غير ذات قيمة.^(١)

كما يلاحظ "طنطاوي" مدى تأثير السؤال السقراطي في رواد الاستشارة الفلسفية، فلم يكن يرمي إلى استنطاق محاوريه من أجل استخلاص إجابة فحسب، بل كانت غايته

(١) سامح الطنطاوي: مرجع سابق، ص ص ٢٠١ : ٢٠٥.

هي الكشف عن الأوهام والأخطاء الموجودة في عقولهم، التي تصاحب الأفكار المغلوطة والمشوشة بداخلهم، وبهذا تتمثل مهمة المستشار الفلسفي في محاولة تصحيح الاتجاه للوصول إلى أداء فكري أفضل، كما أنه من الممكن أن يستخدم الفكاهاة من أجل مساعدة الضيف للتعبير عما يشعر به من ناحية، ولكي يُفرغ الشحنة الموجودة بداخله من ناحية أخرى.^(١)

وتجدر الإشارة - هنا- إلى أن قبول الأفكار الجديدة وتدعيمها يتم بعدة وسائل، يتخللها في الغالب العودة إلى الأسئلة؛ لتثبيت الفكرة الجديدة بعد إحلالها محل القديمة، ووظيفة الأسئلة هي تنمية عملية التفاعل والمشاركة بين المستشار والمستشير، وتوليد الفكرة من عقل المستشار. ولا يجب أن تكون الأسئلة مباشرة دائماً، بل يُفضل - أحياناً- أن تتوارى في هيئة نقاش يقوده المعالج، فيكون نقلاً ودفاعاً عن الفكرة بطريقة مرنة. ومن خطوات تثبيت الفكرة - أيضاً- الانتقال إلى أمثلة واقعية وتاريخية تؤكد الفكرة وتدعم عملية الإقناع، ومن المستحب أن تكون الأمثلة تاريخية ومحل اتفاق، حتى لا يحدث خلاف حولها أو التشكيك فيها فيما بعد، وإن كان التشكيك جائزاً دائماً ما دام العقل في صيرورة مستمرة، ولكن هدف الاستشارة أن يحظى المستشار بقدر من التوازن ويتقبله. أما في حالة الشك الدائم؛ فيمكن اللجوء - عند الضرورة- لعملية الاختيار القائم على تحديد الأولويات، كأن يختار الشخص قناعة ما لأنها تحقق له مكاسب كبرى أو خسائر أقل سواء مادياً أو نفسياً أو اجتماعياً^(٢).

٢- المنهج الديالكتيكي.

لقد عدَّ بوثيوس "على" المنهج الديالكتيكي "The Method of Dialectic" في طرحه لنظرية الاستشارة الفلسفية، وهو الذي يقوم على الحوار بين شخصيتي "العزاء": (سيده الفلسفة)، و(السجين). وهو حوار يقوم على طرح الأسئلة واستخراج إجابتها بشكل جدلي يعتمد على إظهار المعاني الحقيقية للأشياء والأمور والإشكاليات المعرفية، وذلك بتقنييد المفهوم الظاهري الخاطيء لها. وتحدث هذه العملية في جو يسوده المودة والحب والمرونة بين طرفي الحوار.

(١) المرجع نفسه، ص ٢٠٦ : ٢١٠.

(٢) فاطمة مصطفى أبو عالية: مرجع سابق، ص ٣٧٦، ٣٧٧.

وتجدر الإشارة إلى أن "الديالكتيك" - هنا- أكثر تعقيدًا من الحوا، فهو شكل من أشكال الحوار يكون فيه المستفسر واعياً ذاتياً بشأن دوره في التساؤل ويفكر في القوة وقيود الأسئلة التي تواجه التحقيق. كما يُعد مسعى انعكاسي ذاتي لحجة عقلانية تتعلق بطبيعة (الكل) وماهيته. إنه لا يخطيء في أفكار المستفسر عن الواقع؛ لأنه يدرك حدوده. وقد سمح الديالكتيك لـ"بُونثيُوس" من التحقق من بعض الأفكار الإيجابية، وخاصة عن العدل والخير والسعادة والألوهية، وهو يسمح بتحقيق تأملي عقلا في الأسئلة الأساسية حول العدالة والسعادة دون تقديم إجابات نهائية^(١).

٣- المنهج التحليلي التركيبي.

كما عوّل "بُونثيُوس" في تقديم نظريته حول الاستشارة الفلسفية على المنهج التحليلي التركيبي، وذلك عن طريق تحليل المرض أو المشكلة وتفكيكها وتجزئتها، التي يعاني منها إلى أجزاء، وذلك بغرض الوقوف على الأسباب الحقيقية المؤدية إلى ذلك المرض أو إلى حدوث تلك المشكلة ثم إعادة تركيبها في شكل جديد بعيد كل البعد عن شكلها القديم، الذي كان قبل عملية التحليل، وذلك بهدف كشف النقاب عن معانيها الحقيقية والواقعية. وفي عملية التركيب يمكن الاستعانة بأفكار وقضايا أخرى من شأنها تعزيز المعاني والدلالات الحقيقية التي يهدف الوصول إليها.

كما يمكن ربط المشكلة- إن كانت واحدة ومحددة - بقضايا ومشكلات أخرى فلسفية تدعمها كالعدالة، والخير، والشر، ... إلخ، مع تأكيد أن هدف المستشار الحل، وليس التعقيد، ومن ثمّ يمكن اللجوء إلى هذه القضايا بشكل جزئي، ووفقاً لحالة المستشير ومدى قدرته العقلية على تقبلها، فالمشكلة الرئيسية قد تتضمن عدة مشاكل فرعية متداخلة معها أو منبثقة عنها أو مرتبطة بها، وكل مشكلة فرعية تحتاج إلى تجزئتها على النحو الاستشاري السابق، ووفق تسلسل يخدم المشكلة الرئيسية، وهذه إحدى مهام المستشار، أي اكتشاف المشكلة الرئيسية وترتيب المشكلات الفرعية بطريقة صحيحة للعمل على حلها.^(٢)

(١) Wendy Raudenbush: Op. Cit., p. 19.

(٢) فاطمة مصطفى أبو عالية: مرجع سابق، ص ٣٧٥

كما يقوم المستشار باستحضار المشكلة وتجريدها ثم إعادة تحليلها وترتيبها منطقياً ولغوياً بالاشتراك التفاعلي مع المستشار، وكأنه يستخدم المنهج الديكارتي في المعرفة، فيقوم بالجمع ثم التحليل، والتأكد من إقصاء القضايا الفاسدة واستبعادها. ثم يقوم المستشار بترتيب الفكرة بطريقة مختلفة، أي منحها معنىً مختلفاً والعمل على إقناع المستشار به، وقد يكون ذلك بالنظر إلى الضد، بمعنى تأكيد النقص لإثبات الكمال المطلق^(١).

٤- المنهج الهيرمنيوطيقي.

أما "المنهج الهيرمنيوطيقي" *The Method of Hermeneutics*؛ فهو منهج رئيسي استخدمه "بوثيوس" في نظريته الإستشارية، فالهيرمنيوطيقا في أحد معانيها تعني الفهم، وهي تأويل الأفكار من أجل فهم المعاني والدلالات الباطنية دون الوقوف على معانيها الظاهرية؛ ومن ثمّ فالهيرمنيوطيقا وظيفة مهمة في الاستشارة الفلسفية، إذ تعمل على تغيير الفهم، أي نقل الفهم الظاهري للأفكار التي تُحدث المرض إلى تعديل وتغيير ذلك الفهم إلى فهم داخلي وجودي من شأنه أن يعيد فهم الأفكار التي تكون الاعتقادات حول الأحداث والمواقف والقضايا.

وقد تجلّى المنهج الهيرمنيوطيقي عند "بوثيوس" عندما تحول أسلوبه من الأسلوب البلاغي إلى الأسلوب الجدلي، مما نجم عن ذلك أنه بدأ متأثراً بمنهج كل من: أفلاطون، وأرسطو، وإبيكتيتوس^(٢). كما استخدم المنهج الهيرمنيوطيقي بشكل متوازٍ ومستمر مع باقي المناهج الأخرى، فكان يستخدم "بوثيوس" كل منها عندما يقتضى طبيعة الحوار استخدامه، فالحوار هو الذي يحدد متى يُستخدم المنهج السقراطي، والمنهج الديالكتيكي، ومتى يستخدم المنهج التحليلي التألفي، ومتى يستخدم المنهج الهيرمنيوطيقي، وغيرها من المناهج الأخرى، مثل: المنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الاستقرائي، والمنهج المنطقي، ... إلخ؛ ومن ثمّ كان "بوثيوس" يستخدم

(١) المرجع نفسه، ص ٣٧٦.

(٢) John Magee: *The Good and Morality*, In, "The Cambridge Companion to Boethius", Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009, p. 183.

المناهج الفلسفية كلما تطلب الحوار القائم بين المستشار والمستشار ذلك، أي أن الحوار الديالكتيكي القائم بينهما هو الذي يحدد أي منهج يُستخدم، فالحوار يدور حول مجموعة من التساؤلات والقضايا، التي وفقها يتم تحديد منهج أو اثنين أو ثلاثة؛ لمعالجة كل منها؛ وبناء على ذلك، فهناك مرونة في استخدام المناهج في نظرية الاستشارة الفلسفية عند "بُونثيُوس".

وبعد أن طرحنا مفهوم الاستشارة الفلسفية عند "بُونثيُوس"، وأهم المناهج التي عوّ عليها عند تطبيقها وممارستها يجب الوقوف على أهم الإستراتيجيات التي تبناها في تأسيس نظرية الإستشارية وتطبيقها.

المحور الثالث: إستراتيجيات تطبيق الاستشارة الفلسفية عند بُونثيُوس.

تتمثل إستراتيجية نظرية الاستشارة الفلسفية في مجموعة من الممارسات، التي من أهمها: فحص حجج الزوار ومبرراتهم، وتوضيح المصطلحات والمفاهيم وتحليلها، وكشف الافتراضات الأساسية والآثار المنطقية وفحصها، وكشف التعارضات والتناقضات، واستكشاف النظريات الفلسفية وأهميتها لقضايا الزائر، ومناقشة جميع الأنشطة المتعلقة بالقضية وتحديدها^(١)، ويمكن حصرها في ثلاثة أنشطة عامة، وهي: "طرح المشكلة"، و"ترتيب الأفكار وإعادة معالجتها"، و"تشخيص المرض".

١- طرح المشكلة: طرح الآلام والمعاناة بمختلف مظاهرها وأشكالها.

تتمثل الخطوة الأولى في نظرية الاستشارة الفلسفية عند "بُونثيُوس" في طرح المشكلة، حيث تبدأ "سيدة الفلسفة" (المستشار) بترك بُونثيُوس السجين (المُستشير) بطرح المشكلة التي تواجهه عن طريق طرح الآلام والمعاناة التي يعاني منها بالشكل والطريقة التي تناسبه، التي يستطيع عن طريقها أن يصف الحالة التي يشعر بها بدقة، وذلك حتى يمكن تقديم العلاج المناسب.

لقد تخيل "بُونثيُوس" الفلسفة طبيبة تفحص مريضاً، فتشخص حالته، وتعطيه وصفة العلاج، وفي بداية فحصها للمريض تسأله: هل تذكر ما غاية الأشياء جميعاً؟ وما الهدف الذي تتجه إليه الطبيعة بأسرها؟ فلما وجدته ناسياً قالت: فهل تعرف من أين

(١) نور عبيد: مرجع سابق، ص ٤٢.

أنت الأشياء جميعًا؟ قال: نعم، من الإله، قالت: فهل يجوز أن تعرف الأصل وتجهل الغاية؟^(١)

وبدأت "سيدة الفلسفة" في حبِّ "بوثيوس" على إفشاء أحزانه لها، فأخذ يشكو بمرارة ظلم الحظ الذي يحكم على الأبرياء المتألمون، بينما الأشرار يكونون في حالة من الفرح والبهجة.^(٢) ويبدأ "بوثيوس" بطرح آلامه، بقوله: أأنت أنت (الفلسفة) من أسس هذا الرأي على لسان أفلاطون: إن الدول السعيدة هي التي يحكمها الفلاسفة، أو التي يدرس حكامها الفلسفة؟ وأسرت إلى أن هذا يلزم الحكماء مزاوله السياسة؛ حتى لا تُترك دفة الحكم لأيدي الأشرار والمجرمين؛ فيلحقون الدمار والخراب بالمواطنين، وعلى هذا قررت أن أطبق في السياسة العامة ما تعلمته منك. تشهدين أنت ويشهد الله الذي غرسك في عقول الحكماء أنه ما دفعني إلى تقلد أي منصب سوى حرصي على الصالح العام. وهكذا نشبت النزاعات بيني وبين الأشرار، وأثار عليَّ حبي للعدل سُخط الحكام، ولم أبال بسخطهم لعلمي أنني أرضيت ضميري الحر.^(٣) وبهذا، فقد أتهم "بوثيوس" بتهمة الخيانة والفساد زورًا نتيجة حبه للعدالة وممارسته لها، وهي أسمى القيم الفلسفية، فقد اتهم بخيانتها، وكشف النقاب عنها بوثيوس النقاب عن زيف كل منها.

وأخذ "بوثيوس" يتابع بقوله: نتيجة لممارستي للعدل، سخط عليَّ كثير من الظلمة والفاستين، فقد وقف في وجه الوزراء عندما كانوا يغتصبون مال المستضعفين، وردعت مراقب القصر عن ظلمه المستمر، وكثيرًا ما تدخلت لأحمي المعدَّبين حين يلاحقهم ما لا يُحصى من التهم الباطلة من جانب الجشعين الذين لا مُحاسب ولا رادع لهم. ولم يكن ألمي أقلَّ من ألم الفلاحين أنفسهم حين أرى أملاكهم تُنهب، وتثقل الضرائب، وحين حلت ذات يومٍ مجاعةٌ شديدة وفُرض على الفلاحين بيع محاصيلهم، بالظلم والاعتساف، بيعًا يبخسهم حقهم؛ فقد تصديت - يومئذٍ - للقاضي الروماني من

(١) مصطفى النشار: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) Agnes Arber: *Spinoza and Boethius*, Isis, Vol. 34, No. 5, the University of Chicago Press, Chicago, summer, 1943, p. 400.

(٣) بوثيوس: *عزاء الفلسفة*، ترجمة عادل مصطفى، مراجعة أحمد عثمان، مؤسسة هنداوي، المملكة

أجل الصالح العام، وعلى الرغم من أن الملك كان على علم بما أفعله فقد نجحت في إيقاف البيع. ألا ترين أنني قد جلبت على نفسي كثيرًا من العداوات والضغائن؟ غير أنني كنت جديرًا بحماية الباقيين الذين ساعدتهم، فأنا لم أدخر وسعًا في خدمة رجال البلاط بدافع حبي للعدل، ومن ثم كان لي الحق في الدعم من جانبهم^(١).

وبعد أن انتهى "بوثيوس" من ذكر التُّهم التي أُدين بها أخذ يتسأل ويتعجب من سبب وجود الشر في العالم، حيث قال: لم يذهب بي الحزن في كل ذلك بحيث أبتئس لهجمات الأشرار الآثمة ضد الأخيار، غير أنني أتعجب لكونهم يحققون ما يأملون؛ فالرغبات الشريرة قد تكون جزءًا من الضعف البشري، أما أن يُتاح لكلٍ شرير أن ينال غرضه من البرئ على مرأى من الله ومسمع، فهذا ما يبدو لي بشعًا كل البشاعة، لعل هذا ما يجعلنا نسأل: إذا كان الله موجودًا فمن أين يأتي الشر؟ وإذا لم يكن هناك إلهٌ فمن أين يأتي الخير؟^(٢)

لم يقف الأمر بـ"بوثيوس" عند هذا الحد من إيضاح التهم، بل يرى أن متهميه يزعمون أنه نتيجة لدراسته للفلسفة وعلمه بها، هي ما جعلته يقدم على اقتراح هذه التهم، حيث قال: "والأدهى من ذلك أنهم يدعون أنك أنت التي دفعتني إلى الإثم، من حيث إنني مُتَّسَبِّبٌ بتعاليمك مُتمرسٌ بأخلاقياتك، وهو عندهم دليلٌ على أنني قد اقترفت ما اقترفت! فلم يكف -إذن- أن توقيري لك لم يعد عليّ بنفع، بل إنك أنت نفسك صرت محط الكراهية عوضًا عني، وفوق كل ذلك فقد أنقض ظهري ثقلًا آخر، هو أن الناس لا تحكّم على الأفعال وفقًا لمناقبتها الخاصة، بل وفقًا لما ينتج عنها بالمصادفة، فيكون الفعل في نظرهم حصيلًا ما دام الحظ حليفه، أما من لم يحالفه الحظ فلا نصيب له من رضا الناس. وإنه لمن المضجر أن أتذكّر ما يدور بين الناس من شائعاتٍ وما يتناجون به من آراءٍ شديدة التباين والاختلاف، وبحسبي أقول إن هذا هو العبء الأخير الذي يلقيه القدر القاسي على كاهلنا: فحيثما ألصقت تهمةً بتعساء الحظ ظن الناس أنهم كانوا يستحقون كل ما ينزل بهم، وهكذا كان العقاب جزاء إحصاني، فجُردتُ من

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠.

أملّكي ومناصبي وشوّهت سمعتي إلى الأبد.^(١) وبعد أن انتهى "بونثيوس" من عرض ويلاتة، أخذ يدلّل على أن الفلسفة يمكنها أن تجعل وجهته متجهة إلى الله، ويعترف أن الألم والحزن أضعفه وأضعف ذاكرته.^(٢) وبعد أن ينتهي (المستشير) من طرح الآلام والمعاناة، يبدأ (المستشار) بترتيب الأفكار ومعالجتها.

٢- ترتيب الأفكار وإعادة معالجتها.

في هذه المرحلة يبدأ المستشار بطرح سؤال لتبين طبيعة الحالة بشكل أكثر وضوحاً ومدى تعمقها وإمكانية وجود أمل منها، ثم يقوم بترتيب الأفكار من نقطة بداية، يتفق عليها مع المستشار، فتكون هي القضية الأولى، التي يبنّي عليها النسق، وطرف الخيط الأول في رحلتها الفكرية.^(٣)

وقال "بونثيوس": "بينما كنت أنفث هذه الحشرات الطويلة، بقيت الفلسفة هادئة لم يَطرف لها جفنٌ ولم تتأثر بشكواي، ولما انتهيت نظرت إليّ بهدوء وقالت: "عندما رأيتك حزيناَ دامعاً أنبأني لسان حالك أنك معذبٌ منفيّ، ولكن ما كان لي أن أعلم كم لك في المنفى لولا أن كشفت لي ذلك في ثنايا قولك، غير أنك في حقيقة الأمر لم تتف بعيداً عن وطنك، بل أنت الذي ضللت بعيداً عنه بنفسك! أو إن شئت أن تُعد نفسك منفيّاً فأنت الذي نفيت نفسك! فلا أحد غيرك على الإطلاق يمكنه أن يكون قد فعل ذلك، لأنك لو تدكّر وطنك الحقيقي الذي جئت منه، فإنه ليس محكوماً بالأغلبية مثل أثينا القديمة، بل إنه (واحد سيده، واحد ملكه)، واحد يروقه أن يكثر رعاياه لا أن ينفوا، واحد أن تعنو لعنانه وتُدعن لسلطانه وتتحني لعدالته هو أعلى مراتب الحرية. يبدو أنك نسيت القانون الأقدم لبلدك، إنه حقٌ مقدسٌ لكل فردٍ اختار الإقامة فيه ألا يُنفى منه أبداً، ومن ثمّ فلا وجه للخوف من النفي داخل أسواره وجمّاه، ولكن أيّما فردٍ يرغب عن العيش فيه يكون قد فقد استحقاقه أن يكون هناك؛ فإن هذا المكان لا يزعجني بقدر ما يزعجني منظرك، ولا ما أبحث عنه هو جدران مكتبتك المزينة بالزجاج والعاج، بل

(١) بونثيوس، مصدر سابق، ص ٥٢.

(٢) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 27.

(٣) فاطمة مصطفى أبو عالية: مرجع سابق، ص ٣٧٥.

أبحث عن كرسي عقلك! ذلك هو المكان الذي أودعت فيه يوماً، لا كتبي، بل الشيء الذي يجعل للكتب قيمةً الفلسفة التي تحتويها الكتب، الأفكار التي تكتنرها^(١). وبعد القيام بعملية ترتيب الأفكار والوقوف على نقطة البدء في المرض الذي أصاب السجين، تأتي مرحلة تشخيص المرض.

٣- تشخيص المرض:

يبدأ (المستشار) باختيار اتجاه وطريقة العلاج، ويحدد الأسلوب الفلسفي المناسب للحالة، وهو هنا مصاب باليأس والشعور بالعدمية اللامبالية التي تناسب شخصاً محكوماً عليه بالإعدام، أو صاحب مرض لا يُرجى شفاؤه، أي أن المستشار هو مَنْ يحدد اتجاه العلاج بشكل غير مباشر عن طريق سرده للمشكلة وردوده على الأسئلة المبدئية، ويتجسد ذلك في قوله: لا تتوقع ميل الحظ تجاهك دائماً، فهذا ليس بطبع فيه، وليس عيباً به كذلك، وإنما العيب بالشخص الذي يتوقع ما لا يستحقه ويظنه حقه لكونه اعتاد عليه أو رأى غيره مالكاً له.^(٢)

لقد أصبح عقل "بُونَيْثِيُوس" المريض مصاباً باليأس، ولا يرى شيئاً، إذ يعيش في ظلام، وذلك بسبب هموم الدنيا ومصائبها، وهما ما يجعلان العقل ينسى نوره الباطني، وكان عقل هذا المريض في وقت سابق ينشر المعرفة بنوعها النظرية والعملية^(٣)؛ ومن ثمّ، لا يقتصر العلاج الفلسفي عند "بُونَيْثِيُوس" فحسب على عامة الناس بل يتطرق أيضاً إلى المتخصصين في الفلسفة بل والفلاسفة أنفسهم، فبالنسبة لعامة الناس فتطبيق العلاج عليهم أمراً طبيعياً، ولكن أليس من العجيب في الأمر تطبيقه على الفلاسفة أنفسهم؟

قالت "سيدة الفلسفة": "إن الوقت ليس وقت شكوى بل وقت علاج، ثم حدثت بملء عينيها قائلة: ألسنت أنت من أرضعته يوماً من لبنتي وأطعمته من طعامي إلى أن بلغ أشده؟ لقد منحتك أسلحة كفيفة بأن تحميك، ولكنك ألقيت بها بعيداً؟ ألا تعرفني؟ لماذا

(١) بُونَيْثِيُوس: مصدر سابق، ص ٥٥.

(٢) فاطمة مصطفى أبو عالية: مرجع سابق، ص ص ٣٧٥، ٣٧٦.

(٣) بُونَيْثِيُوس: مصدر سابق، ص ٤١.

أنت صامت؟ هل أصمتك الخجل أم أسكتك الدهول؟ كنت أود أن يكون الخجل، ولكن الدهول فيما أرى هو الذي يَمْلِكُكَ". وعندما وَجَدتني صامتاً غير قادر على النطق، وضعت يدها برفق على صدري وقالت: "لا خطر، إنه يعاني من شيءٍ من النسيان، ذلك المرض الشائع في العقول الضالة، لقد نسي نفسه برهة، وسوف يتذكرها بسهولة إذا ما تعرف عليّ، ولكي أمهد له ذلك سأبدد بعضاً من ضباب الهموم الدنيوية التي تغطي على عينيه". وتتابع "سيده الفلسفة" بقولها: "ولكن ما دمت الآن مضطرباً تعصف بك شتى الانفعالات، من حزنٍ وغضبٍ وكرب، وتذهب بك كل مذهب، فليس الآن وقت العلاجات القوية، بل دعني أستخدم أدويةً أطف في البداية، كأني ألين بها ما تورم وصلب من أثر هذه الانفعالات المزعجة؛ فتوهله لتلقي الدواء الأشد قوة".^(١)

فيعاني المريض من الخمول، وهو مرض شائع، كثيراً ما يصيب العقول، ويمكن علاجه بسهولة عن طريق الصحة الفلسفية، وإعادتها مرات مستمرة^(٢). وتهدف "سيده الفلسفة" لأن تُمسح تلك السحابة المظلمة من الأمور الفانية من على عينيه، وتشغل عقله في الفحص النشط للأشياء التي لا تتغير. والبحث الفلسفي هو بحث عن التحرر من الانطباعات الجزئية المشوهة الناتجة عن التجربة الشخصية. ولأوغسطين ممارسة مشابهة في إعادة إيقاظ الروح على معرفة ذاتها ومعرفة الله على حد سواء.^(٣)

كما قال "بونثيوس" ليس الشقاء إلا ما تعده أنت كذلك، وكل قدر هو قدر سعيد لو أنك تلقيته بثبات، فليس هناك علاج لمن ييأس ويحزن لما يحيط به أو يلحق به من مصائب أبلغ من أن يتأمل هاتين العبارتين، وإن لم تكفياه فليقرأ بتمعن قوله: ألا ما تسعها تلك السعادة التي تأتي من حطام الدنيا، فلا تدوم للعاقل ولا تقنع الأحق. وقوله: لماذا يا أهل الفناء تبحثون عن السعادة خارج أنفسكم، وهي كامنة فيها، لكأني بكم تستشعرون فقرم الداخلي فيدفعكم إلى التماس خيراتكم من خارج أنفسكم.^(٤)

(١) المصدر نفسه، ص ص ٤٢، ٥٦.

(٢) Thérèse–Anne Druart: Op., Cit., p. 27.

(٣) Wendy Raudenbush: Op. Cit., p. 16.

(٤) مصطفى النشار: مرجع سابق، ص ص ٣٨، ٣٩.

فمن وسائل التسكين إظهار الدعم، والتفهم، والمواساة، وعد النعم الأخرى، وذكر الإيجابيات، والتذكير بما نملك في مقابل ما لا نملك، والنظر إلى حال العالم وطبيعته وتغير أحواله على الكل سواء، وذكر أحوال الآخرين الأقل منا، والتوضيح المنطقي للحسرة على ما نملك وما لا نملك، وتحديد معنى السعادة الحقيقية.^(١)

وبعد الانتهاء من معالجة إستراتيجية الاستشارة الفلسفية عند "بُونثيُوس"، لابد من الوقوف على مستويات ممارستها، وفق هذا التساؤل: هل للاستشارة الفلسفية عند "بُونثيُوس" مستويات؟

المحور الرابع: مستويات ممارسة الاستشارة الفلسفية عند بُونثيُوس

من الواضح أن الاستشارة الفلسفية عند "بُونثيُوس" لا تسير في مستوى واحد فقط، بل لها مستويين يمكن عن طريقهما تقديم الاستشارة الفلسفية وفقاً لنظرية بُونثيُوس، وهما: "المستوى الاستشاري البسيط"، و"المستوى الاستشاري المركب".

١- المستوى الاستشاري البسيط: (المهدئات العقلية).

يتضمن المستوى الاستشاري البسيط ثلاث مراحل، تتمثل المرحلة الأولى في ذكر حالات مماثلة للآلام التي يعاني منها المريض، أما المرحلة الثانية؛ فهي جعل العقل الإلهي نقطة انطلاق في تقديم العلاج، وأما المرحلة الثالثة والأخيرة فتشمل، تنفيذ الثروات المادية.

▪ المرحلة الأولى: ذكر حالات مشابهة للحالة التي يعاني منها المريض.

تتمثل المرحلة الأولى في المستوى الاستشاري البسيط عند "بُونثيُوس" في تقديم حالات مماثلة لتلك الحالة التي يعاني منها المريض، وهذا من شأنه يخفف من وطأة مرضه وآلامه التي يعاني منها، وذلك لإقناعه بأنه ليس هو الوحيد الذي تعرض لمثل تلك الآلام التي يعاني منها، فتروي له "سيدة الفلسفة" أن هناك كثيراً من الفلاسفة اليونان والرومان السابقين عليه تعرضوا لنفس ما تعرض له، فتذكره عما حدث لسابقه، وكيف نُفِيَ "أنكساجوراس"، وأعدم "سقراط"، وعُذِبَ "زينون"، وتعرض عديد من فلاسفة الرومان لكثير من الآلام والمعاناة مثل: "كانيوس"، و"سينيكا"، و"سورانوس"، وغيرهم كثير.

(١) فاطمة مصطفى أبو عالية: مرجع سابق، ص ص ٣٧٥، ٣٧٦.

فقد أخذت "سيدة الفلسفة" ترد على "بوثيوس" بقولها: كيف أتخلى عنك يا ولدي؟ وكيف لا أقاسمك عناءك الذي تحملته بسببي، وبسبب كراهية الناس لاسمي؟ أتحسبني أخشى الاتهام أو أرتعد فرائص كما لو كان جديداً عليّ؟ وهل هذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها الحكمة للخطر وتتهدها قوى الشر؟ فقديمًا -أيضًا- قبل عهد خادمي أفلاطون، كم معارك كبيرة خُضتْها ضد قوى الغباء الطائشة، ثم في حياته انتصر أستاذه سقراط على الموت الظالم بوقوفه إلى جانبه، وبعدها بذلت جموع الأبيقوريين والرواقيين وغيرهم كل ما بوسعهم لكي يقبضوا على ميراث الحكمة الذي تركته لهم، حاول كل منهم أن ينتزعي بالقوة كجزء من غنيمته، ولكنني كافحت وقاومت، حتى تمزق ردائي الذي نسجته بيدي، لقد انتزعوا نُبُقًا منه، وذهبوا يتباهون بأنهم استحوذوا على الفلسفة كلها، وإذ احتفظوا بمزق من ثيابي فقد أسبغ عليهم ذلك شهرة بين الجهال بأنهم من أهلي وذوي، ومن ثم فإن كثيرًا منهم قد أضلته جهالة الجموع الحمقى.^(١)

وتتابع "سيدة الفلسفة" قولها: لا عجب أن تتقاذفنا العواصف الهوجاء في بحر الحياة ما دام همنا الأكبر هو أن نُغضب الأشرار، وعلى الرغم من كثرتهم العددية الهائلة، فإن بوسعنا أن نزيدهم؛ لأنهم لا هادي لهم، إنما يحدهم الجهل فيخبطون خبط عشواء، هنا يمكننا أن نُطل عليهم من أعلى حصننا المنيع، سالمين من غارتهم ضاحكين من حماقتهم.^(٢)

وتتابع "سيدة الفلسفة" قولها: أما ما ذكرته عن خدماتك للصالح العام فما أقله بالقياس إلى ما قدّمته حقًا من جلائل الأعمال، وأما حديثك عن التُّهم المنسوبة إليك، سواء عن حق أو عن باطل، فقد سجّلت فيه ما هو معروف جيدًا، وأما عن جرائم الوشاة وأكاذيبهم الدنيئة فقد أصبت إذ مرّرت عليها في عجالَةٍ ما دامت تتردّد على أفواه العامة أكثر إسهابًا وتفصيلًا، ولقد انتقدت بعنفٍ وقوةٍ جحود المجلس وظلمه، وتحدّثت بأسى عن التهم التي طالت شخصي وذرفت الدموع للتشويه الذي نال سمعتي، وأخيرًا

(١) بوثيوس: مصدر سابق، ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

صَبَّبت جَامَ غضبك على القدر وشكوت مُرَّ الشكوى من أنه لا يُقدم الجزاء العادل بقدر الاستحقاق، وفي شعرك الختامي الغاضب دَعَوْتَ مع ربّات الشعر أن يكون السلامُ الذي يحكم السماء حاكمًا على الأرض أيضًا.^(١)

وبهذا، ووفقًا لما طرحته (سيدة الفلسفة) من أن الآلام والمعاناة التي تعرض لها "بُونثيُوس"، سبق وتعرض لها كثير من فلاسفة اليونان والرومان على حد سواء، وهو كثيرًا ما يتعرض له الفلاسفة، ومن ثمَّ فمن شأن ذكر هذه الأمثلة ستخفف من حدة ووظئة تلك الآلام من على كاهل المريض.

■ المرحلة الثانية: العقل الإلهي بوصفه نقطة انطلاق.

كان العقل الإلهي هو الركيزة الثانية في المستوى الاستشاري البسيط التي عول عليها "بُونثيُوس" في طرح نظريته حول الاستشارة الفلسفية، لأن الغالبية العظمى من البشر يتفقون على أن الله هو الخالق والمُسيِّر لهذا الكون، وأن جميع الحوادث تقع في علمه، بل وأن غاية الوجود تنتهي إليه.

فتسأل "سيدة الفلسفة" في بداية فحصها للمريض: هل تَدَكر ما هي غاية الأشياء جميعًا، وما الهدف الذي تتجه إليه الطبيعة بأسرها؟، فلما وجدته ناسيًا قالت: "فهل تعرف من أين أتت الأشياء جميعًا؟" قال: "نعم، من الإله"، قالت: "فهل يجوز أن تعرف الأصل وتجهل الغاية؟"، ولكن الأهم من هذه الأسئلة الكونية، التي تؤسس الإطار لحياة الإنسان، هو أنها وجدته ناسيًا من هو، وما وظيفته بوصفه إنسانًا!، هكذا يأتي التشخيص قاطعًا كالسيف ثاقبًا كالرصاصة، ألا وهو النسيان: "فلأنك سادر في نسيانك فقد ذهبت تتحسر على أنك منفي ومجرد من ممتلكاتك، ولأنك لم تُعد تعرف ما بالضبط غاية الأشياء، فقد حسبت أن التافهين والمجرمين أقوياء وسعداء، ولأنك نسيت الطرائق التي تُسير العالم فقد ظننت أن ضربات الحظ تتخبط هنا وهناك بغير ضابط. ومن التشخيص الصحيح يبدأ العلاج الصحيح، ومن الجذوة المتبقية من ذاكرته تكون الخطوة الأولى، فما تزال لدينا الشرارة الكبرى لشفتائك، وهي رأيك الصائب عن إدارة الكون،

(١) بُونثيُوس: مصدر سابق، ص ٥٥.

فأنت تؤمن أن الكون لا تحكمه المصادفة العشوائية، بل العقل الإلهي، إذن لا تخش شيئاً، فمن هذه الشرارة الضئيلة سوف ينبثق فيك وهج الحياة.^(١)

وتسترسل "سيدة الفلسفة" حديثها قائلة: دعني أتفحص حالتك النفسية وأختبرها ببضعة أسئلة بسيطة؛ لعلني أقف على أفضل طريقة لعلاجك، فأجبتُها: سَلي ما شئت، وسوف أُجيب، قالت: هل ترى أن هذا العالم تُسيِّره المصادفة والأحداث العشوائية، أم أنه ينطوي على مبدأ عقلي ما؟ قلت: حاشاي أن أعتقد أن أحداثاً على هذا الاطراد المنتظم يمكن أن تكون وليدة المصادفة والاتفاق، إنما أؤمن أن الله الخالق يسهر على خلقه، ولا أراني أحياناً يوماً عن هذا الاعتقاد ما حييتُ. قالت: هذا حق، بل هو بعينه ما كنت تشدو به للتو عندما كنت تتحسّر على أن بني البشر منهم من لا تشملهم عناية الإله، إن اعتقادك الراسخ بأن كل شيءٍ آخر محكومٌ بالعقل، وإنني لأعجب كيف يصيبك المرض مع هذا الرأي السليم، ولكن دعني أمضي بالفحص إلى ما هو أعمق، إنني ليغلبني حسٌّ بأن ثمة شيئاً مفقوداً بشكل ما، قل لي إذن: ما دمت لا تشك البتة في أن الله يحكم العالم، فما هي في رأيك، المبادئ التي يُسيِّر بها العالم؟، قلتُ: لا يسعُنِي أن أُجيب عن سؤالك لأنني لا أتبيّن معناه، فقالت: لقد صدق ظني - إذن - أن هناك شيئاً مفقوداً، أن ثمة ثلماً في درعك نَقَدَ منه هذا المرض المُخِِّل إلى روحك، أخبرني - إذن - هل تذكر ما هي غاية الأشياء جميعاً، وما الهدف الذي تتجه إليه الطبيعة بأسرها؟ قلتُ: كنتُ أعرفها جيداً، ولكن ذاكرتي كليلَةٌ من الحزن. فتسألُه "سيدة الفلسفة" هل تعرف من أين أتت الأشياء جميعاً؟ فيرد بونثيوس: بلى، من الإله. فترد عليه "سيدة الفلسفة": فهل يجوز أن تعرف الأصل وتجهل الغاية؟ على أن هذه الاضطرابات إن قويت على تشتيت المرء بتغيير موقعه فإنها لا تقوى على أن تنتزعه كلياً من نفسه وتقتلعه من جذوره، ولكن أودُّ - أيضاً - أن تجيبني عن سؤالٍ آخٍ: هل تذكرُ أنك إنسان؟، بونثيوس: ولم لا أذكر؟! وترد "سيدة الفلسفة": أيمكنك - إذن - أن تُنبئني ما هو الإنسان؟ ويرد بونثيوس: أتقصدان الحيوان العاقل أو الأخلاقي؟ أعرف

(١) بونثيوس: مصدر سابق، ص ص ٢٤، ٢٥.

بالتأكيد، وأقرُّ أنني كذلك، وترد "سيدة الفلسفة": أوافقُ أنتَ أنكَ لستَ أكثرَ من ذلك؟ ويرد بُوَيْثْيُوسُ: واثقٌ تمامًا.^(١)

وترد "سيدة الفلسفة" قائلة: الآنَ عرفتَ السببَ الرئيسيَ لمرضك، لقد نسيتَ من أنتَ؛ لذا فقد وقفتَ على مرضك من كل جوانبه، وعلى المدخلِ إلى استردادِ صحتك، فلأنك سادراً في نسيانك فقد رحمتَ تتحسر - أيضاً - على أنكَ منفيٌّ ومجردٌ من ممتلكاتك، ولأنك لم تُعدَ تعرفَ ما بالضبطَ غايةَ الأشياءِ، فقد حسبتَ أن التافهينَ والمجرمينَ أقوىاءَ وسعداءَ، ولأنك نسيتَ ما هي الطرائقُ، التي تُسيرُ العالمَ فقد ظننتَ أن ضرباتِ الحظِ تتخبطُ هنا وهناكَ بغيرِ ضابطٍ، تلكَ أشياءَ لا تقضي إلى المرضِ وحده، بل إلى الموتِ أيضاً. ولكن من لطفِ الله أنكَ لم تهجُرِكَ طبيعتُكَ كُلَّها، فما تزال لدينا الشرارة الكبرى لشفائك، وهي رأيك الصائبُ عن إدارة الكون، فأنتَ تؤمنُ أن الكونَ لا تحكُمُه المصادفةُ العسواءُ بل العقلَ الإلهي، إذن لا تخش شيئاً، فمن هذه الشرارة الضئيلة سوف ينبثقُ فيك وهج الحياة. ولكن لأن وقتَ الدواءِ الأقوى لم يحن بعد، ولأن من طبيعة العقل أنه مقابل كل فكرة صحيحة يفقدها، فإنه يكتسبُ فكرةً زائفةً تنفُثُ ضبابَ الوهمِ ليعثيَ على بصيرته الصحيحة، وسوف أحاولُ أن أبعدَ هذا الضبابَ شيئاً فشيئاً باستخدامِ علاجاتِ خفيفةٍ ومتوسطةِ القوة، فإذا ما تبددَ ظلامُ سيكون بوسعك أن تُبصرَ.^(٢)

▪ المرحلة الثالثة: تقنيد الثروات المادية الزائلة.

أما بالنسبة للمرحلة الثالثة من مراحل المستوى الاستشاري البسيط - وهي تقنيد الثروات المادية، التي تعني عند بُوَيْثْيُوسُ "إظهار أن الثروات المادية، التي تتمثل في المال، والسلطان، والجاه، والشهرة - فليست ثروات حقيقية، وإنما ثروات مادية زائفة وزائلة.

فقد أخذت "سيدة الفلسفة" تُثبتُ لبُوَيْثْيُوسُ "أن التعلق بالملذات الجزئية مثل: الثروة، والشهرة، والمتعة لا يمكن أن تنتج السعادة، بل تأتي السعادة من الخير المطلق"^(٣).

(١) بُوَيْثْيُوسُ: مصدر سابق، ص ص ٥٧، ٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٣) Wendy Raudenbush: Op. Cit., p. 17.

فالثقة بالثروات لتوفير السعادة الآمنة أشبه بالثقة بالرمال المتحركة، وستؤدي - دائماً - إلى خداع الذات، فبفعل تغيراتها الشريرة، لا يمكن أن تؤمن في أن تؤدي إلى السعادة، فهناك عديد من الجوانب في الحياة البشرية التي يبدو أنها تعد بالاستقرار والسعادة إلا أن "بونثيوس" في حجته مع الفلسفة يفككها جميعاً، ويظهر بأنه ليس المال، ولا القوة السياسية، ولا الشهرة، ولا الشرف يصمد في مواجهة الحظ.^(١)

ولننظر إلى قول "بونثيوس" الساخر، فيما يرى مصطفى النشار، فيمن يتصورون أن بالثروة تتحقق السعادة، ما أروعها نعمة الثروة الفانية! ما إن تحصل عليها حتى يغادرك الأمان، فمن كثرت ممتلكاته كثرت احتياجاته، وقوله كذلك مهما اكثر الغنى من مال، وأقل جوده باللالئ، وذرعت ثيرانه العزب، فإن الهم لن يفارقه في حياته، والثروة الخائنة لن ترافقه في مماته. ولنتأمل كذلك، قوله فيمن يتصورون أن السعادة والشرف في الجاة والمنصب: إن الشرف لا يأتي إلى الشريف من المنصب، بل يأتي للمنصب من الشريف. فعندما يوسد المنصب إلى غير أهله، فإنه لا يجعل منه أهلاً على الإطلاق، وإنما يفضح ويكشف ضعفه وتفاهته، أما من يتصورون أن السعادة في اللذة والجري وراء إشباعها، فيقول لهم: إن السعي إلى اللذة محفوف بالهم والشعب منها مملوء بالندم. كم أورثت أجساد المتهالكين عليها من أسقام وتباريح وكأنها ضرب من عقاب الإثم. ولنتأمل قوله لهم: لجميع اللذات طبع واحد، أن تغري تابعيها وتتخسهم إليها، لكنها كسرب النحل المدم، تدر عسلها الحلو، ثم تقر بعيداً تاركة في قلب من تمسه لدغة لا تزول. إلى كل أولئك: أية لعنة بحجم غفلتكم يمكن أن استنزله عليكم! إلهثوا وراء الثروة والمجد وحين يستوي لكم منها ركام زائف، هناك تدركون ما هو الخير الحقيقي، ومع ذلك فهو يرثي لحال هؤلاء ويشفق عليهم حينما يقول: ليس ثمة ما يدعو إلى كراهية الأشرار؛ فكما أن الضعف مرض الأجسام أحق بالعطف لا الكراهية، فإن من أصيب في روحه لأحق بالشفقة لا اللوم^(٢). إن ما نسعى له من ثروات المال والجاه

(١) Albrecht Classen: Op. Cit., pp. 192, 193.

(٢) مصطفى النشار: مرجع سابق، ص ص ٣٩، ٤٠.

والأرض والسلطان ليس لها قيمة على وجه التحديد لأنها ببساطة ليست ملكاً لنا،^(١) ولكن لإثبات أنه لا يجب لشيء أن يتحكم في الإنسان، فقد رأي إنه لا يجب أن تتحكم فيه الثروة التي يمتلكها، لذا فهي زائفة وزائله، وعليه ألا يمتلكها.^(٢)

وبعد أن عرضنا لمراحل المستوى الاستشاري البسيط، ومفهوم كل منهم ننتقل إلى المستوى الاستشاري المركب، فما المقصود به؟ وما أهم مراحله؟

٢- المستوى الاستشاري المركب.

يتكون المستوى الاستشاري المركب عند "بُوَيْثْيُوس" من ثلاثة مراحل: المرحلة الأولى، وهي خيرية الشر، والمرحلة الثانية، وتتمثل في كشف النقاب عن ماهية الخير الأسمى والسعادة الحقيقية، أما المرحلة الثالثة، فهي ألوهية العقل الإنساني.

▪ المرحلة الأولى: خيرية الشر

تسعى "سيدة الفلسفة" - عن طريق ردودها- إلى أن تعيده إلى الحالة الذهنية، التي يريدها، فأخذت تعلمه أن يرتفع فوق تقلبات الحظ، وأن تقوده إلى فهم أعظم الأشياء الجيدة، وهو يتوسل إليها بشغف، فنقول له: إن كل أفكار الناس تسعى لتحقيق نفس الغاية ألا وهي السعادة، وهو ذلك الخير الذي حصلنا عليه، ولا يمكن تحقيق أي شيء آخر، ثم تقوم الفلسفة بمراجعة الطرق التي تؤدي إلى هذه الغاية، حيث ترفض السعي وراء الثروات والشرف والقوة والمجد والأخلاق والمتعة. وهو ما يمكن أن يوجد لدى "إسبينوزا" في رسالته "تعديل التفكير"، وتخلص الفلسفة عند "بُوَيْثْيُوس" إلى أن "سعادتنا بحد ذاتها هي الله"، وهو ما يتفق مع "إسبينوزا" بأن النعمة هي التي تتكون من علم الإله وحده.^(٣)

وهو يصل بالفلسفة إلى كبد الحقيقة في علاج كل سقيم غير واع بها حينما يقول: أنه بقدرة الله، وبقدرته وحدها قد تكون الشرور خيراً أيضاً، وذلك حين يصرفها الله تصرفاً يحقق نتائج خيرة. ويقول أيضاً: تظنون أن الشرور تملأ الأرض. ولكن لو

(1) John Magee: Op. Cit., p. 186.

(2) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 28.

(3) Agnes Arber: Op. Cit., pp. 400, 401.

أمكنكم أن تنظروا بمنظار العناية لما وجدتم لها على الأرض أثراً. ولذلك فهو ينصح الإنسان مخاطباً عقله وحكمته قائلاً: ينبغي على الحكيم ألا يشكو كلما إشتبك مع الحظ، ذلك أن الشدائد نفسها هي فرصة لكل منهما: لواحد كي ينال المجد، وللآخر كي يؤثر حكمته ويقويها. ويضيف: أن قدرك بيدك! بيدي صنف القدر الذي تود أن تشكله لنفسك. لأن كل ما يبدو عسيراً هو إما عظة، وإما تقويم، وإما عقاب. ولعله قد إتضح مما سبق أن العلاج بالفلسفة متكامل ولا يتناقض أبداً مع الإيمان بالله، وبالقدر خيره وشره عند "بوثيوس"، وقد صدق حينما قال أنه "لا يمكن لأي شيء أن يعصي الله، ويكون مخلصاً لفطرته"، ولعل هذا ما أكده بعده فلاسفة الإسلام وخاصة "ابن رشد" على "أن الحق لا يضاد الحق"، وأن ما أتى به الشرع جاء موافقاً لما توصل إليه الحكماء بالعقل، وما ذلك إلا لأن مصدرهما واحد وهو الله.^(١)

▪ المرحلة الثانية: كشف النقاب عن ماهية الخير الأسمى والسعادة الحقيقية.

إن الخطوة الأساسية والأكثر أهمية لتحقيق العلاج الفلسفي، هو ما قاد "بوثيوس" للاعتراف بأن السعادة الحقيقية هي في نفسه وذاته، وليست في الأشياء الخارجية والمميتة، وبذلك "لا شيء بائس إلا إذا كنت تعتقد بالفعل أنه كذلك".^(٢) فليس شقاء إلا ما تعده أنت كذلك، فكل قدر هو قدر سعيد لو أنك تلقينه بثبات ورباطة جأش فليس من علاج لمن ييأس ويحزن لما يحيط به أو يلحق به من مصائب أبلغ من أن يتأمل هاتين العبارتين، وإن لم تكفياه فليقرأ بتمعن قوله: ألا ما أتسעה تلك السعادة التي تأتي من حطام الدنيا: فلا هي تدوم للعاقل ولا هي تقنع الأحمق. أو قوله: لماذا يا أهل الفناء تبحثون عن السعادة خارج أنفسكم، وهي كامنة فيها! لكأنني بكم تستشعرون فقرم الداخلي فيدفعكم إلى التماس خيراتكم من خارج أنفسكم.^(٣)

وتذهب "الفلسفة" إلى أن الرغبة في الخير الحقيقي هي شئ متأصل في نفوس البشر جميعاً، وما يحيد بهم عن جادة الخير سوى الحمق والخطأ والسير في الدروب المضلة

(١) مصطفى النشار: مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 28.

(٣) مصطفى النشار: مرجع سابق، ص ص ٣٨، ٣٩.

إلى الخيرات الزائفة. إن الخير الأسمى أو السعادة الخالصة، هي هدف البشر جميعاً، أختيارهم وأشرارهم على السواء، فأما الأختيار فيسعون إليه من الطريق الصحيح وبالنشاط الطبيعي وهو ممارسة فضائلهم، وأما الأشرار فيقصدون إلى الشيء نفسه، ولكن من الطريق الخاطئ عن طريق شهوات ليست بالطريقة الصحيحة ولا الطبيعية لاكتساب الخير: الثروة، المنصب، الجاه، الشهرة، النفوذ، اللذة ... إلخ، ومن ثم فالأختيار أقوياء لأنهم يحققون الغاية، والأشرار عجزة لأنهم يقصرون عنها، ولا يُغير من الأمر أن الأختيار قد ينفون ويضطهدون، والأشرار قد يسودون ويزدهرون في الظاهر الكاذب؛^(١) لذلك، فهناك إذن طبيعة السعادة الزائفة وسببها معاً، فلتحول نظرتك الآن في الاتجاه المقابل وسوف ترى لتوك السعادة الحقيقية التي وعدت بأن أبينها لك، ولكي تكون جديراً باكتشاف مصدر هذا الخير الأسمى ينبغي - كما قال أفلاطون في محاوره "طيمائوس" - أن نبتهل إلى الله، فدون ذلك لا يستهل عمل ولا يُشمر لأمر.

بناء على ذلك، فالفكرة - هنا- أفلاطونية لا شك فيها، وتحويل النظرة عما هو زائف إلى ما هو حق، وإدراك أن الله هو الخير الأسمى، إنما يستند على صعود الروح في أسطورة الكهف الشهيرة في "الجمهورية"، فصعود الروح، أو تربيتها، أشبه بصعود رجل من كهف مظلم كان قابلاً فيه، ومقيداً منذ الطفولة لا يملك أن يرى غير ظلال على الجدار، وحين فُكت قيوده انتقل خطوة خطوة إلى النور، حتى تمكن في النهاية من أن يرى الشمس نفسها مثال الخير. غير أن صعود الروح ليس مجرد عملية تربية، فهو - أيضاً- عملية "تذكر" تتصهر فيها نظرية التذكر الأفلاطونية بمفاهيم أفلاطونية محدثة تتعلق بانطواء الروح على ذاتها واستضاءتها بنورها الباطن.^(٢)

فمن هنا كان تشخيص "سيدة الفلسفة" لحالة "بوثيئوس" هو "فقدان الذاكرة" أو "النسيان"، أي نسيان طبيعته الحقّة، إنه ليعلم بالسعادة الحقيقية، غير أن ذاكرته - كشأن غيره من الناس- كليلة غائمة، إن للروح نزوعاً طبيعياً، وانتحاءً فطرياً إلى الله، غير أنها كثيراً ما تحيد وتُحبط في مسالك مضللة، ولكن ما هو إلا أن يشيح بنظرته

(١) عادل مصطفى: في "بوثيئوس: عزاء الفلسفة"، مصدر سابق، ص ٢٦.

(٢) عادل مصطفى: مرجع سابق، ص ٣٠.

عما هو باطل إلى ما هو حق حتى تتم له عملية التذكر، ويدرك أن الله هو الخير وهو السعادة، ويتعرف على وطنه الحقيقي الذي نسيه في معترك الحياة، فيهتف قائلاً: "إنه هو، هذا وطني، منه أتيت، وفيه سأبقى، ولا أبرح أبداً"، وإذا ألقى نظرة على الأرض المعتمة من ورائه، فلسوف يرى الحياة من منظور الأزل، ويرى الأشياء رؤية إلهية، سيرى الطغاة الظالمين منفيين منبوذين لا مأوى لهم. سيرى لذات الأرض وهمومها، وتقلبات الحظ والأعباء، كوميدياً لا تحتمل إلا الضحك. أما "الشر" عفريت الفلاسفة وحجة الملحد؛ فلن يرى له وجوداً.^(١)

▪ المرحلة الثالثة: ألوهية العقل الإنساني.

ثم قدم "بونثيوس" بعد ذلك علاجات أقوى، حيث يمكن الآن أن ينظر إلى ما هو أبعد من الخيرات الجزئية القليل منها، هو فحسب ضروري، ويمكن التفكير في الخير أو السعادة والذي يظهر في الله، ويمكن أن يكتسب الألوهية.

وتشرح "سيدة الفلسفة" بذكاء ما المقصود بالضبط من وراء هذا التعبير. فترى أن كل إنسان سعيد هو إله، وهنا تدعو الفلسفة للاقتداء بالله، لأن الله لا يضعف نفسه في الأشياء الخارجية، ويجب على "بونثيوس" أن لا يبدد قواه العقلية في التركيز على الأشياء الخارجية بل ينبغي التعمق أكثر في التأمل الذاتي. وتعتمد العلاجات الصعبة على التفكير الميتافيزيقي، وذلك على أساس تحليل المفاهيم الأساسية، حيث قدمت "سيدة الفلسفة" للتو نوعاً من الدليل الأنطولوجي على وجود الله، وذلك بإدراك الأشياء الخارجية وهي أمور غير مكتملة وغير كاملة لأننا بالفعل ندرك ماهية الكمال، ومثل هذه الحجج يمكن أن تفتح لنا فهم حقائق أعلى لأنها تعكس الإكتفاء الذاتي الإلهي، ولكن العلاج لم يكتمل بعد، فلم ينس "بونثيوس" تماماً حزنه الداخلي، ففي الواقع كان حزنه داخلياً وخارجياً.^(٢)

فقد ركز الجانب الخارجي على الأشياء الخارجية التي حُرِم منها، لكنه أدرك الآن أنها ليست ضرورية له حقاً؛ ومن ثمَّ يمكنه التحرك للتعامل مع حزنه الداخلي، فمع

(١) المرجع نفسه، ص ٣٠.

(٢) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 28.

وجود الخير يمكن للشر أن يوجد على أساس من الحرمان الشخصي، وهناك مشكلة فلسفية كبرى ألا وهي: كيف يمكن أن يكون هناك حكمًا صالحًا وعاقلًا يسود الكون ويوجد الشر، فضلًا عن حدوث الشر الأخلاقي دون عقاب، فهاتان الواقعتان إن كانتا بالفعل حقائق ستقوض صلاح الله وعدله. تذهب "سيدة الفلسفة" إلى أن الجهل هو ما يحرض الأشرار إلى السعي وراء الملذات الكاذبة بدلًا من الخير الحقيقي الذي يرغبون فيه ويهدفون إليه، لذا تقودهم إلى نقص وجودهم في الإشتراك في الألوهية إذا كانوا يعرفون السعي وراء ملذات مزيفة، ويتضح من هذا تبني "بوثيوس" وجهة النظر التي تقرر أنه لا أحد يفعل الشر عن طيب خاطر، ويتبنى كذلك ما جاء في (تيماسوس) لـ"أفلاطون" بأن الرذيلة مرض الروح يجب أن يشفق عليها لا أن تعاقب. (١)

ثم محاولة البرهنة العقلية على أن عقل الإنسان ليس هالكًا بأي حال من الأحوال، ولذلك، يمكن أن تبدأ في رؤية أنه بالمعنى الدقيق للكلمة ليس بشريًا على الرغم من جسده؛ ومن ثمّ يمكن تذكره بأنه إلهي بطريقة ما، ويمكن التذكر بمعنى ما أن البشر مثل الله بفضل عقولهم الخالدة، كما أن "معرفة الذات" تمنح إمكانية التفوق على الآخرين، وعدم وجودها يجعلها أضعف من البهائم، لأنه من الطبيعي عدم إمكانية امتلاك الحيوانات لمعرفة ذواتهم؛ ومن ثمّ فعدم معرفة الذات بالنسبة للبشر هي رذيلة. (٢)

لقد أعطى "العزاء" تعبيرًا حيًا أن الكون الذي خلقه الله من صلاح ونقاء هو نسخة من الأصل الإلهي؛ ومن ثمّ يحمل طابع إلهي، والنفس البشرية هي مثل صورة الله بين المخلوقات، وهي الأقرب لمونشوها، وعن طريق الفنون الحرة يمكن للإنسان أن يصلح الأرض ويعرف بنية الكون وخالقه. حيث يمكن عن طريق دراسة هذه الفنون أن تستعيد الروح المعرفة الكاملة. (٣)

المحور الخامس: الرؤى الإبداعية لنظرية الاستشارة الفلسفية عند بوثيوس.

يمكن استنباط واستشراف بعض الرؤى الإبداعية التي تقدمها نظرية الاستشارة الفلسفية عند "بوثيوس"، ومن أهم تلك الرؤى: "القابلية للتغيير"، و"موقع الضبط"، و"منظور الرؤية".

(١) Ibid., p. 28.

(٢) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit, p. 27.

(٣) Lodi Nauta: Op. Cit., p. 258.

١- "القابلية للتغيير".

إن مبدأ "القابلية للتغيير" هو الخطوة الأساسية في عملية الشفاء، حيث تشير "سيدة الفلسفة" إلى أن القدر متأرجح بالضرورة، ولا أحد يتمتع بنعيم الحياة دون أن يعاني من الألم والمعاناة، ولا يوجد إنسان سعيد دائماً، فمن طبيعة الإنسان أن كافة أموره تكون محفوفة بالقلق. وهنا يُحوّل بونثيوس "السجن المادي" إلى "سجن معرفي"، وتوضح له الفلسفة وتعلمه مبادئ الأفكار الأفلاطونية، مشيرة إلى أننا نكون في الغالب عُميان، لا نفهم طريقة عمل الفرد. وتشرح له أنه من الخطأ الفادح العويل والحزن على فقدان الممتلكات المادية، لأننا كبشر لسنا حقاً أصحابها، وقد منحنا القدر سيطرة مؤقتة عليها. ووفقاً لعمله كعجلة متحركة باستمرار ينسب إلى الجميع إما حظاً سيئاً أو حظاً سعيداً^(١)؛ ومن ثمّ يقوم التفكير الفلسفي بوظيفة مهمة للغاية في "العزاء"؛ لأنّ للتفكير وظيفة رئيسية في اختيار المعتقدات وتصحيحها، وتصحيح التصورات المشوهة والأوهام. ولديه القدرة على تغيير اتجاه مشكلات الإنسان، وتحويل انتباهه من الاستيعاب السلبي في الخصوصيات أو في الأمور الجزئية إلى الانخراط بفاعلية في القضايا العامة والأفكار.^(٢)

وقد طرح "سعيد ناشيد" مبدأ "أن الشقاء هو ما أراه أنا شقاء"، ويعني إنه عندما يقع لي حادث يُشعرنني بالحزن والشقاء، فعليّ أن أدرك في الحال أن قدرًا كبيرًا من الشقاء ليس ناجمًا من الحادث نفسه، بل ناجم عن تأويلي وفهمي الخاص للحادث، إذ يتعلّق الأمر بترتيب ذهني يحتاج إلى إعادة ترتيب قصد التخفيف من حدّة الحُكم في النهاية؛ بل قد لا تنتهي إعادة التأويل أحياناً إلى مجرد التخفيف من الحكم، وإنما قد تنتهي إلى تحويل المأساة نفسها إلى فرصة للنمو والارتقاء في مسار بناء الذات.^(٣) وبهذا، فقد سعى "بونثيوس" إلى إزالة المفاهيم الخاطئة استعداداً لاكتشاف الحقيقي منها بشكل أكثر دقة، وهذا عن طريق التحقق من نمط وشكل التفكير.^(٤) كما أنه من واجب الإنسان أن يتكيف بهدوء كجزء من الكل، ولكن من وجهة نظر تجربتنا الفكرية.^(٥)

(1) Albrecht Classen: Op. Cit., pp. 191, 192, 193.

(2) Wendy Raudenbush: Op. Cit., p. 16.

(3) سعيد ناشيد: مرجع سابق، ص ٨٤، ٨٥.

(4) John Magee: Op. Cit., p. 187.

(5) Wendy Raudenbush: Op. Cit., p. 33.

إن السياق الذي يسير فيه "بُوثيُوس" بقرائه واضح، إنها محاولة للتذكر، أي أن يتذكر القارئ ما الإنسان؟ ولكي يتحول عقله بنشاط إلى التأمل في الله، ووفقًا للعقل ليعيش وفقًا لهذه الآراء الحقيقية، فالقارئ لن يضيع وقته بعد الآن مع الأشياء المميّنة، أو أن يسمح لعقله أن تربكه الأوهام.^(١) وقد تأثر "إسبينوزا" هنا بما طرحه "بُوثيُوس" حول "تعديل التفكير"، الذي أطلق عليه مصطلح "أنماط الإدراك".^(٢)

٢- "موقع الضبط".

يعد "موقع الضبط" جانبًا مهمًا من جوانب الشخصية، وهو مفهوم أسسه "جوليان روتر" *Jullian Rotter* (١٩١٦ - ٢٠١٤)، وكان يُسميه "موقع ضبط التدعيم"، ويعقد "روتر" صلة بين السيكلوجيا السلوكية والسيكلوجيا المعرفية، فقد ذهب إلى أن السلوك تُسيره "التدعيمات" *Reinforcements* إما في صورة مكافآت أو في صورة عقوبات، أو الثواب والعقاب، وأنه عن طريق التدعيمات يؤسس الناس اعتقاداتهم عن أسباب أفعالهم، ثم تقوم هذه الاعتقادات بدورها بتحديد الاتجاهات والمواقف والسلوكيات التي يتبنونها.^(٣) ويمكن القول بلغة سيكلوجية معاصرة إن شرطًا كبيرًا من جهد "الفلسفة" العلاجي الذي قام به "بُوثيُوس" يقوم على نقل "موقع الضبط" *Locus of Control*، ويشير مفهوم "موقع الضبط" إلى إدراك الشخص لما تُكونه الأسباب الرئيسة لأحداث الحياة: وهو ما ظهر بشكل واضح في التساؤلات التالية: هل تعتقد أن مصائرنا تصنعها أنت بنفسك، أم يصنعها الآخرون أو يصنعها الحظ أو القدر؟ هل تعتقد أن سلوكك تُسيره قراراتك الداخلية، أو تعتقد أن سلوكك تُسيره الظروف الخارجية؟ هل ترى أن نتائج أفعالنا مترتبة على ما نفعله نحن "موقع ضبط داخلي" *Internal Locus of Control* أو ترى أنها مترتبة على أحداث خارج سيطرتنا الشخصية "موقع ضبط خارجي" *External Locus of Control*، وبصفة عامة، يُعد الضبط الداخلي أفضل تكييفًا من الضبط الخارجي، وتقوم كثيرًا من التدخلات العلاجية النفسية والتعليمية على نقل "موقع الضبط" لدى

(١) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 31.

(٢) Agnes Arber: Op. Cit., p. 401.

(٣) عادل مصطفى: مرجع سابق، ص ٢٣٧.

الشخص من الخارج إلى الداخل حتى يُصبح مالكا لإرادته متحكما في أفعاله محدداً لمسيره.^(١) فيبقى الإنسان كما هو، لكن الذي يتغير هو نمط التفكير والفهم، فالأسئلة الأساسية المطروحة تظل ثابتة، لكن المنظور الفلسفي هو الذي يتغير ويتطور.^(٢)

٣- "منظور الرؤية".

إن العلاج في "عزاء الفلسفة" هو علاج ذاتي، يهيب بالقارئ أن يتجاوز محنته ويعلو فوقها، فما الشخصيتان المتحاورتان في النص سوى وجهين من شخصية "بوثيوس" نفسه أو حالتين من "حالات ذاته" *Ego-states* بلغة سيكولوجية: إحداهما يائسة عاجزة انهزامية تطلب العون، والأخرى مُعلِّمة مرشدة تُقدم العلاج، وتعد "الفلسفة" إلى أن تُظهر السجين اليائس على أن المسألة برمتها مسألة "منظور رؤية" *Perspective*، وأن بيده أن يقرأ قدره وفق إرادته ويتخذ موقفاً حراً من أحواله، ويكف عن رؤية نفسه ألعوبة في يد الأحداث الخارجية تُقلبه كيفما شاءت، فإذا كان في محنة، فهو الذي خلق محنته، بمعنى ما، وأوثق أغلاله، حين اختار أن يعد نفسه ضحية لا حول لها ولا قوة، بينما كان بوسعه أن يعلو فوق المحنة، وينظر إلى الأحداث وهو بمعزل عنها، ويضعها في نصابها الصحيح.^(٣)

وقد عوّل "بوثيوس" على ضرورة معرفة الذات، حيث تمنح معرفة الذات إمكانية التفوق على الآخرين، وعدم وجودها يجعلها أضعف من البهائم، لأنه من الطبيعي عدم إمكانية معرفة الحيوانات لذواتهم؛ ومن ثمّ فعدم معرفة الذات بالنسبة للبشر تعد رذيلة.^(٤) كما ذهب "بيير هادو" إلى أن تأمل الموت واستباقه عبارة عن تغيير لزاوية الرؤية، أي تغيير من رؤية فردية ضيقة مغطاة بانفعالات أرضية بائسة إلى رؤية كونية موضوعية ترصد الأشياء كما هي، وتأخذها بحجمها الحقيقي، يقول سينيكا: "من تعلّم كيف يموت فقد تعلّم كيف لا يُستعبد".^(٥)

(١) المرجع نفسه، ص ٢٣٧.

(٢) John Magee: Op. Cit., p. 183.

(٣) عادل مصطفى: مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٤) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 27.

(٥) بيير هادو: مرجع سابق، ص ٢٥.

وأخيراً، نتساءل: هل نجحت الفلسفة في تقديم العلاج الفلسفي والاستشارة الفلسفية للمريض، وهل نجحت في شفاؤه وعلاج أمراضه؟ تكمن الإجابة في مُقدّم النص، فمن الضروري أن يكون "بُوثيئوس" قد تعافى بالفعل من مرضه؛ لكي يتمكن من كتابة هذه التحفة الفنية وهذا النص وما يتضمنه من تطور فلسفي،^(١) وإذا لم يكن قد تعافى ما تمكن من كتابه مؤلفه، ولا استطاع أن يطرح أيّاً من أفكاره.

نتائج البحث وتوصياته:

أ- نتائج البحث:

وتمثلت فيما يأتي:

- تعد الاستشارة الفلسفية واحدة من الأساليب العلاجية التي تقوم على استخدام الفلسفة والتفكير الفلسفي في الممارسة العلاجية. ويعد "بُوثيئوس" واحداً من أهم فلاسفة العصور الوسطى الأوربية، الذين أسسوا نظرية للاستشارة الفلسفية التي تقوم عنده على استدعاء واستحضار الأفكار والقضايا والمناهج الفلسفية المختلفة في محاولة تقديم العلاج الفلسفي للمريض وذلك في حوار بين المستشار والمستشير لتقديم علاج فلسفي من شأنه أن يعالج الأمراض، التي يعاني منها المستشير بشكل عقلائي.
- تركز الاستشارة الفلسفية عند "بُوثيئوس" على عديد من المناهج الفلسفية التي يعول عليها أثناء تطبيق الاستشارة الفلسفية، التي من أهمها "منهج الحوار السقراطي" القائم على التهكم والتوليد؛ لتوليد الأفكار والمعاني من عقل المستشير، وكذلك "المنهج الديالكتيكي" القائم على الحجج المتناقضة لمقابلتها الواحدة مع الأخرى فعن طريق جدلية المقابلة بينهما تخرج الحجج العقلانية لتسهم في تقديم العلاج، وأيضاً "المنهج التحليلي التركيبي" وذلك عن طريق تحليل المعضلة الفكرية إلى أجزاء ومعالجة كل جزء فيها، ثم تركيب كل منهم، في موضعه، عندئذ يمكن حلها بشكل منطقي، كما عوّل على "المنهج الهيرمنيوطيقي" وذلك عن طريق إعادة تقديم فهم جديد للأفكار والمفاهيم والمعاني التي تدور في عقل المريض لتغيير الفهم القديم الموروث وتقديم فهم جديد لها من شأنه أن يسهم في تقديم العلاج.

(١) Thérèse-Anne Druart: Op. Cit., p. 26.

■ تقوم إستراتيجية تطبيق نظرية الاستشارة الفلسفية عند "بُوَيْثِيُوس"، على ثلاث مراحل بشكل متسلسل، الأولى وتتمثل في طرح المشكلة، أي طرح الآلام والمعاناة بمختلف مظاهرها وأشكالها، والثانية مرحلة ترتيب الأفكار وإعادة معالجتها، والثالثة مرحلة تشخيص المرض بشكل دقيق.

■ هناك مستويان لممارسة الاستشارة الفلسفية عند بُوَيْثِيُوس، وهما: المستوى الاستشاري البسيط، والمستوى الاستشاري المركب، أما المستوى الأول؛ فهو المستوى الاستشاري البسيط، ويطلق على هذا المستوى تقديم مهدئات عقلية بسيطة، ويتكون هذا المستوى من ثلاث مراحل متتالية، وهم: المرحلة الأولى، وتتمثل في ذكر حالات مشابهة للحالة التي يعاني منها المريض، والمرحلة الثانية، تتمثل في جعل العقل الإلهي كنقطة انطلاق، والمرحلة الثالثة، وهي مرحلة تقنين الثروات المادية الزائلة. أما المستوى الاستشاري المركب، ويتكون من ثلاث مراحل، المرحلة الأولى وهي خيرية الشر، أما المرحلة الثانية؛ فتتمثل في كشف النقاب عن ماهية الخير الأسمى والسعادة الحقيقية، والمرحلة الثالثة؛ فتتمثل في المقاربة بين الألوهية والعقل الإنساني.

■ تطرح نظرية الاستشارة الفلسفية عند بُوَيْثِيُوس رؤى إبداعية عديدة يمكن لها أن تسهم بنصيب كبير في تقدم العلاج الفلسفي والنفسي وتطورهما على حد سواء، ومن أهم تلك الرؤى: "القابلية للتغير"، و"موقع الضبط"، و"منظور الرؤية".

ب- توصيات البحث ورويته المستقبلية.

وتمثلت فيما يأتي:

■ يمكن اقتراح تطبيق نظرية الاستشارة الفلسفية عامة وعند "بُوَيْثِيُوس" خاصة على أرض الواقع عن طريق مجموعة من الممارسات، التي لا يمكن أن تتحقق إلا بتكاتف عديد من الوزارات والمؤسسات. فيمكن في البداية تضمين المقررات الدراسية المختلفة بأفكار وقضايا وأعلام للاستشارة الفلسفية والعلاج بالفلسفة.

■ يمكن التوصية بتقديم مجموعة من الدورات وورش العمل لنشر ثقافة العلاج بالفلسفة، ثم تشجيع طلاب الدراسات العليا على التسجيل في موضوعات تتعلق بالعلاج بالفلسفة.

- ينصح بعقد دورات تدريبية للمجتمع المحلي لنشر تلك الثقافة، وكذلك نشر مقالات وأبحاث حول هذا التخصص، وذلك على فترات زمنية قصيرة، ثم محاولة فتح جمعيات أهلية تهتم بهذا الحقل الجديد.
- ينصح-أيضاً- بمحاولة البدء في فتح برامج تعليمية بينية مميزة للاستشارة الفلسفية والعلاج بالفلسفة، التي يمكن أن تتشارك فيها أقسام الفلسفة مع أقسام علم النفس مع أقسام الطب النفسي، وبعض مجالات علوم اللغة والاتصال؛ ومن ثم الانتقال من نطاق التنظير العلمي للفلسفة إلى الواقع العملي التطبيقي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: قائمة المصادر والمراجع العربية.

١. بُوثيئوس: *عزاء الفلسفة*، ترجمة عادل مصطفى، مراجعة أحمد عثمان، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٩م.
٢. بيير هادو: *الفلسفة طريقة حياة، التدريبات الروحية من سقراط إلى فوكو*، ترجمة عادل مصطفى، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.
٣. جون مارينوب: *بُوثيئوس*، ترجمة علي الحارس، موسوعة إستانفورد للفلسفة، منصة حكمة، ٢٠١٩م.
٤. سامح الطنطاوي: *الاستشارة الفلسفية عند جيرد أشينباخ*، (ص ص ١٩٧-٢٣٠)، أوراق فلسفية، كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، المجلد (٦١)، الزقازيق، ٢٠١٨م.
٥. سعيد ناشيد: *التداوي بالفلسفة*، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ٢٠١٨م.
٦. فاطمة مصطفى أبو عالية: *الاستشارة الفلسفية بين النظرية والتطبيق*، (٣٤١: ٤٠١)، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، (الإنسانيات والعلوم الإجتماعية)، مجلد (١٤)، العدد (٢)، يوليو ٢٠٢٢م.
٧. مصطفى النشار: *العلاج بالفلسفة*، بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيقية وفلسفة الفعل، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ٢٠١٠م.
٨. نور عبيد: *الإرشاد الفلسفي والنظمي*، (ص ص ٣٦-٥٨)، دراسات جامعية في الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٩)، الجامعة اللبنانية، لبنان، (د.ت).

ثانياً: قائمة المراجع الأجنبية.

9. Agnes Arber: *Spinoza and Boethius*, Isis, Vol. (34), No. (5), the University of Chicago Press, summer, Chicago, 1943, (pp. 399–403).
10. Albrecht Classen: *What do they mean for us today?* Medieval Literature and Philosophy at the Ende of the Twentieth Century. Boethius, Abelard, John of Salisbury, and Christine de Pizan, Mediaevistik, Vol. (12), U.S.A., 1999, (pp. 185–208).
11. Howard Rollin Patch: *The Tradition of Boethius, a Study of his Importance in Medieval Culture*, Oxford University Press, Oxford, 1935.
12. John Magee: *The Good and Morality*, (pp. 181– 206), In, "The Cambridge Companion to Boethius", Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009.
13. John Marenbon: *Boethius, great medieval thinkers*, Series Editor Brian Davies, Oxford University Press, Oxford, 2003.
14. John Moorhead: *Boethius's life and the world of late antique philosophy*, in, "The Cambridge Companion to Boethius", Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009.
15. Lodi Nauta: *The Consolation: the Latin commentary tradition*, In, "The Cambridge Companion to Boethius", Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009.
16. Thérèse–Anne Druart: *Philosophical Consolation in Christianity and Islam: Boethius and al-Kindi*, Topoi 19, Kluwer Academic Publishers, Netherlands, 2000.
17. Wendy Raudenbush Olmsted :*Philosophical Inquiry and Religious Transformation in Boethius's "The Consolation of Philosophy" and Augustine's "Confessions"*, the Journal of Religion, Vol. (69), No. (1), the University of Chicago Press, Chicago, 1989, (pp. 14–35).
18. Winthrop wetherbee: *The Consolation and medieval literature*, in, The Cambridge Companion to Boethius, Ed. John Marenbon, Cambridge University Press, U. K., 2009.

